الفصل الثالث عشر

تأريخ الجزيرة القديم

ليس من السهل بقاء العاديات ، التي تتألف من موادّ منزلية وأدوات ضرورية لحياة الانسان ، مدةً طويلة في أرضين مكشوفة سهلية ، وفي مناطق صحراوية لا حماية فيها لتلك الأشياء . وليس من السهل أيضاً احتفاظ مثل هذه التربة بجدث الإنسان وبعظام الحيوان أمداً طويلاً . وهي معرضة لحرارة شديدة قاسية ولرياح عاصفة قاسية . ولهذا لا يطمع الباحثون في الحصول على كنوز غنية من المناطق السهلة المكشوفة التي تغلب عليها الطبيعة الصحراوية والتي تؤلف أكبر قسم من جزيرة العرب .

ومن هنا سيتّجه أمل الباحثين عن الآثار الى الأودية التي تتوافر فيها الوسائل الكفيلة بنشوء المجتمعات على اختلاف أشكالها ، والى السهول التي تبعث النهيرات والينابيع والآبار الحياة فيها ، والى الهضاب والجبال حيث توجد المياه وتتساقط الأمطار وتتوافر الكهوف والصخور ،وهي من العوامل المساعدة على نشوء الحضارة وحفظ الآثار ، للاستفادة منها في الحصول على آثار تحدثنا عن تأريخ جزيرة العرب في آلاف السنين الماضية قبل الميلاد .

وليس في استطاعتنا في الزمن الحاضر التحدث عن جزيرة العرب في العصور الجليدية ، لعدم وجود بحوث علمية عن هذه العصور في هذه البلاد . كذلك لا نستطيع أن نتحدث عن بلاد العرب في العهود الحجرية ، لعدم وجود موارد

كافية تساعدنا في الكشف عنها كشفاً علمياً . نعم ، عثر على أدوات حجرية في موضع يقال له (الدوادمي) (Dawadmi) ، وهو يبعد (٣٧٥) ميلاً عن الخليج ، عثر عليها مدفونة في الأرض ، وكان بينها فأس طولها سبع عقد ونصف عقدة ، ولها لون يميل الى الخضرة [١] ، وعثر على أدوات حجرية أخرى في أنحاء من جزيرة العرب ، وفي جملتها الأحساء وحضرموت ، ولكن ما عثر عليه ما زال قليلاً ، لا يمكن أن يعطينا رأياً واضحاً علمياً في تلك العهود في هذه البلاد .

وقد تبين من فحص الأدوات الحجرية التي عثر عليها في الأحساء أنها تتكون من أحجار لا توجد في العروض، وبينها أحجار بركانية أو من حجارة (الكوارتز)، ومن أنواع أخرى من الصخور ، لهذا رأى فاحصوها أنها أدوات استوردت من العربية الغربية . كما تبين من فحص الأدوات الحجرية التي عثر عليها في اليمن وفي حضرموت أنها من النوع المستورد من فلسطين أو من بلاد الشام ، لأنها تشبه الأدوات الحجرية التي عثر عليها هناك [٢] .

أما الأدوات الحجرية التي عثر عليها في مواضع من حضرموت ، فليست محكمة دقيقة الصنعة ، بالقياس الى ما عثر عليه في فلسطين أو في بلاد الشام أو في إفريقية ، وقد عزا بعضهم ذلك الى طبيعة أحجار هذه المنطقة ، وعزاه آخرون الى تأخر حضارة أهل حضرموت في ذلك العهد بالقياس الى الحضارات الأخرى [٣] . ورأى بعض الباحثين أن أرض حضرموت كانت في عزلة عن البلاد المتقدمة في الشمال ، وأن صلاتها بإفريقية كانت أقوى من صلاتها بشمال جزيرة العرب وبالهلال الخصيب وبحضارة البحر المتوسط ، ولذلك صارت الأدوات التي عثر عليها بدائية بعض الشيء بالقياس الى ما عثر عليه في أعالي جزيرة العرب، حيث كان الاتصال وثيقاً بالحضارات المتقدمة .

ومن الأدلة التي تثبت ان اتصال حضرموت بالسواحل الافريقية المقابلة كان

---

١ P. B. Cornwall, Ancient Arabia, Explorations in Hasa, 1940-1941, P. 39, in Geogra. Journ. CVII, Febr. 1946.

٢ Geogr. Journal. Vol. XCIII, No. I, January, 1939, PP. 30.

٣ Geogr. Journal. Vol. XCIII, No. I, January, 1939, "An Exploration in the Hadhramaut and Journey to the Coast" By, Freya Stark.

قوياً ووثيقاً في العصور الـ (الباليوليثية) ، هو عثور المنقبين على فؤوس يدوية في حضرموت تعد من صميم الصناعات التي ظهرت في تلك الأنحاء من افريقية . ووجودها في حضرموت وعثور المنقبين على أدوات أخرى هي من صناعات افريقية ، دليل على شدة العلاقات ومبلغ توثقها بين افريقية والسواحل العربية الجنوبية [1] .

ويظن ان الزجاج البركاني ، المتكون من فعل البراكين (Obsidian) المتخذ أشكالاً هندسية ، مثلثاً أو هلالاً أو مربعاً ، الذي يعود الى الدور المعروف عند علماء الآثار بدور صناعات النصل (Blade Industries) ، والذي عثر على نماذج منه في حضرموت ، هو من المستوردات التي يرجع أصلها إلى سواحل افريقية الشرقية . وقد كانت هذه الصناعة مزدهرة في حوض البحر المتوسط وفي أوروبة قبل الألف الثالثة قبل الميلاد . أما في العربية الجنوبية ، فيعود عهدها الى الألف قبل الميلاد [2] .

واكتشفت أدوات من العصور الحجرية في (الحملة) ورأس (عوينات علي) (عوينت علي) وجنوب (دخان) من (قطر) ، منها فؤوس ومقاشر ونبال وكميات من حجر الصوان . وهذه الصخور هي من العصور (الباليوليثية) و (النيوليثية) [3] .

وعثر في مواضع متفرقة أخرى من جزيرة العرب على أدوات من عهود مختلفة قبل التأريخ ، عثر على أكثرها في مواضع شتى تقع عند الأودية والطرق والمواضع التي تتوافر فيها وسائل الحياة . وسيكون لبحث من يأتي بعدي فيقوم بوضع خارطة أو مخطط للمواضع التي عثر فيها على آلات وأدوات مما قبل التاريخ شأن كبير. ولا شك في الكشف عن مواضع السكنى والحضارة في بلاد العرب قبل التأريخ،وفي الكشف عن نظرية تغير الجو في جزيرة العرب ونظرية الهجرات وارتحال السكان من مكان الى مكان .

---

١ B.R. 527, (Restricted), Geographical Handbook Series for Official use only, Western Arabia and the Red Sea, June, 1946, Naval Intelligence Division.

وسيكون رمزه : Naval

٢ Naval

٣ تقرير شامل عن الحفريات الاثرية في جزيرة « فيلكا » ، ١٩٥٨ — ١٩٦٣ م ، الكويت (ص ٢٤) .

وعثر على آثار متنوعة من العصور الـ (الباليوليثية) (Palaolithikum) (Palaeolithic) والـ (النيوليثية) (Neolithikum) (Neolithic) في الكويت والبحرين وحضرموت ومواضع أخرى من العربية الجنوبيـــة واليمن . وقد ذهب (فيلد) (H. Field) إلى أن اليمن وعدن كانتا مأهولتين بالسكان في العصور (النيوليثية) ، ثم هاجر قسم من الناس إلى عمان والخليج ، وهاجر قسم آخر بطريق باب المندب إلى الصومال و (كينيا) (Kenya) و (وتنجانيقا) ، وهاجر فريق آخر بطريق مأرب ونجران إلى شبـــه جزيرة سيناء وفلسطين والأردن[1] .

وعثر على آثار من العصور المذكورة في مواضع من المملكة العربية السعودية تمتد من الأحساء (الهفوف) إلى الحجاز ، ومن مدائن صالح إلى نجران . وقد عثر على أدوات حجريـــة في (تل الهبر) . وقـــد كان الصيادون في عصور ما قبل التأريخ يتنقلون باتجاه الأودية من مكان الى مكان حيث كانت الأحوال فيها خير مما عليه الآن . وقـــد ترك هؤلاء الصيادون ثم الرعاة بعض الآثار في الأمكنة التي حلّوا بها ما برح السياح وخبراء شركة (أرمكو) وغيرهم يعثرون على قسم منها بين الحين والحين[2] .

ووجدت في (كلوة) (Kelwa) التي تقع على سفـــح (جبل الطبيق) آثار من العهود (الباليوثيكية) القديمة : (Chelléen) والـ (Acheuléen) والـ (Levalloisien) . وقد قدر بعض الباحثين تأريخ السكنى في هذا الموضع إلى الألف الثامنة قبل الميلاد. وقد اكتشف هذا الموضع (هورسفيلد) (G. Horsfield) و (كلويك) (N. Glueck) ، فوجد آثاراً وصوراً على الصخور ، قدّر أنها ترجع الى آلاف من السنين قبل الميلاد من مختلف العصور[3] .

وعثر على كهوف وقد صورت على جدرانها صور حيوانات وصور الشمس ،

---

١ A. Grohmann, Arabien, S. 15, H. Field, Papers of the Peabody Museum, 48/2 (1956), PP. 117.

٢ H. Field, Papers, 48/2 (1956), 63, A. Grohmann, Arabien, S. 15.

٣ N. Glueck, The other Side of the Jordan, New Haven, Con. 1940, PP. 43, H. Rothert, Transjordanien, Vorgeschichtliche Forschungen, Stuttgart, 1938, S. 161, A. Grohmann, Arabien, S. 16.

والهلال ، وذلك على طريق التجارة القديمة في العربية الجنوبية ، بين وادي يبعث ووادي عرمة . وهي تشبه في أهميتها من دراسة الناحية الأثرية ، الصور المتقدمة التي عثر عليها في (كلوة) في الأردن[1] .

فأس من الحجر تعود الى عصر الـ « Palaeolithic » المتأخر ، عثر عليها في « دوادمي » .
صنعت هذه الصورة عن صورة نشرت في مجلة : « The Geographical journal »
جزء شباط سنة ١٩٤٦ أرسلها لي صديقي الدكتور جورج مانيوس من الظهران

وقد ذهب بعض الباحثين الى أن جزيرة البحرين كانت مأهولة بالناس أيام العصور الجليدية المتأخرة في أوروبة ، أي قبل خمسين ألف سنة ، وأن ساحل الخليج ، ولا سيما المنطقة الواقعة بين (الدوادمي) وشمال القطيف ، كان مزدحماً

Naval, P. 214.

بالسكان في العصور البرنزية ، أي حـــوالي (٣٠٠٠ – ٢٥٠٠ ق.م) ، كما عثر على أدوات من العصور (الباليوثيكية) في موضع (رأس عوينت علي) (عوينات علي) في شبه جزيرة (قطر)[١] .

وقد ذهبوا أيضاً الى أن جوّ البحرين آنـذاك – أي أيام العصور الجليدية – كان يشبه جوّ بلاد اليونان في الوقت الحاضر . وأن أرض البحرين كانت مخصبة خضراء ، مغطاة بكساء من الغابات . ولعلها كانت متصلة إذ ذاك بالأرض الأم – أرض جزيرة العرب – أما سكانهـــا فقوم من الصيّادين . عاشوا على ما يقتنصونه من حيوانات ، وفي مقدمتها الأسماك . وقد عثر على أدوات من حجر الصوان ، استخدمها أولئك الصيادون في صيدهم وفي تقطيع لحوم الفرائس التي يوقعها سوء حظها في أيديهم . عثر عليهـــا في مواضع متعددة من البحرين ، وبعدد كبير أحياناً ، مما يدل على أن تلك الأماكن كانت مستوطنة آهلة بالناس .

وليس في هذه الأدوات الصوانية ما يشير الى أصل أصحابها ، أو الى أسمائهم وأسماء المواضع التي كانوا فيها . وكل ما يستفاد منها أنهـــا من أواسط العصور (الباليوثيكية) (Paleothitic) ، وذلك بدليل مشابهتهـــا لأدوات من الصوان ترجع الى هـــذا العهد عثر عليها في شمال العراق وفي فلسطين في شمال غربي الهنـد[٢] .

وقد عثر في البحرين أيضاً على عـــدد من رؤوس حراب وسكاكين صنعت من الصخور الصوانيـــة . قدّر بعض الباحثين عمرها يتراوح بين عشرة آلاف واثني عشر ألف سنة . وهي ترجع الى أواخر أيام الرعي وابتداء عهد الاستيطان والاستقرار والاشتغال بالزراعة . وبين ما عثر عليه من هذه الأدوات ، أحجار سنّت وشذبت لكي تكون بمثابة آلات لحصد المزروعات ولقطع الحشائش واجتثاثها من الأرض[٣] .

وفي العربية الغربية والعربية الجنوبية جبال ترصعها كهوف ، اتخذها الانسان

---

١ P.B. Cornwall, Ancient Arabia: Explortions in Hasa, 1940-1941, A. Grohmann, Arabien, S. 255.

وسيكـون رمزه : Arabien

٢ James H.D. Belgrave, Welcome to Bahrain, London, 1965, PP. 50.

٣ المصدر نفسـه ، (ص ٥١) .

مساكن له ، فأقام فيها قبل الميلاد بأمد طويل ، لا نستطيع تقدير زمانه، واتخذ بعضها معابد ومواضع مقدسة ، وأماكن للخلوة والتأمل الروحي والعبادة،وبعضها مقابر يودع فيها أجداث آبائه وأجداده وأهله ، ولكن أكثر هذه الكهوف قد عبث بها الزمن ، وعبثت بها أيدي الإنسان ، أكثر من عبث الطبيعة بها ، فانتزعت منها ما نبحث الآن عنه من بقايا عظام وتركات سكنى ، وآثار فن ، فحرمنا بذلك الوقوف على حياة الإنسان في جزيرة العرب في تلك الأيام .

وقد أشار الكتبة (الكلاسيكيون) الى سكان الكهوف في بلاد العرب. وعثر السياح على بقايا تلك الكهوف التي كانت منازل ومساكن آهلة بالناس. ولا يزال الناس يسكنون الكهوف في حضرموت وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب[1] . وقد يكون من بينها كهوفاً كانت منازل الأجداد النازلين بها اليوم منذ آلاف من السنين .

ولما كانت زيارات السياح لهذه الكهوف زيارات سريعة خاطفة ، لم يتعمق السائحون فيها في داخل الكهف ، ولم تتناول ما على جدر الكهوف من رسوم أو زخارف،وقد يأتي يوم يعثر فيه الباحثون على كنوز من فن سكان الكهوف، ومن مخلفات لهم وعظام تكدست تحت أطباق الثرى ، نستخرج منها وصفاً لحياة الانسان في تلك المناطق من جزيرة العرب ، وقد تفيدنا في دراسة الصلات والعلاقات التي كانت بين أهل الجزيرة وبين بقية أنحاء العالم في تلك العهود السحيقة .

فيتبين من هذه الآثار القليلة ان بلاد العرب كانت مأهولة بالناس منذ العصور (الباليوثية) (Palaeolithic) ، أي العهود الحجرية المتقدمة ، وان من أقدم الآثار التي عثر عليها آثاراً من أيام العصور المعروفة بـ (Chellian) بين علماء الآثار ، أي الأدوار الأولى من أدوار حضارة العصر الحجري ، وانه قد عثر على أدوات من الصوان في الربع الخالي وفي حضرموت من عهد الـ (Neolithic) والعصور (البرنزية). وعثر على أدوات من الصوان من عصور الـ (Chalcolithic) هي من النوع الذي عثر عليه في جنوب فلسطين[2] .

---

١ Van der Meulen, Aden to the Hadhramaut, P. 120, 200, 203.

٢ Naval. P. 213.

ولم يوفق الباحثون للعثور على هياكل كاملة لإنسان ما قبل التأريخ ، لا في جزيرة العرب ولا في (سيناء)[1] . وللعثور عليها أهمية كبيرة بالنسبة الى البحث في تأريخ ظهور الإنسان وتطوره ، للوقوف على الزمن الذي عاش فيه في بلاد العرب .

والجماجم والعظام مادة مفيدة جداً في دراسة التأريخ ، ولكن الباحثين لمّا يتمكنوا من الحصول على مقدار كاف منها يكوّن عندهم فكرة علمية عن العصور التي ترجع اليها وعن أشكال أصحابها . وقد عثر رجال شركة (أرمكو) للبحث عن البترول في العربية السعودية على بقايا عظام وأسنان لبعض الحيوانات (الحلمية) (Mastodon) وعلى قسم من جمجمة حيوان قديم في موضع يبعد تسعين ميلاً إلى الغرب من (الدمام) ووجد مثل هذه البقايا الحيوانية في أنحاء أخرى من جزيرة العرب ، ولكن ما عثر عليه لا يزال قليلاً ، لا يكفي لاعطاء آراء علمية عن الحياة في جزيرة العرب في التأريخ القديم[2] .

وقد تعرضت تلك المقابر لعبث الطبيعة ولعبث الطامعين بما فيها من أشياء ثمينة ، لذلك أصاب أجسام الموتى التلف ، ولم يبق منها غير بقايا من جسم ، إلا ما كان من مقابر البحرين ، فقد أعطت الباحثين هيكلين كاملين لم يصبهما أي سوء أو تلف . فقد تبين من فحصهما ان أهل الميت وضعوا جسمي الميتين على الجانب الأيمن ووجهوا الوجهين نحو المشرق ، وأمدوا رجلي الميتين . ويبعث وضع الميتين على هذه الصورة الاحتمال بأن أهل البحرين كانوا يتبعون هذه العادة في دفن موتاهم ، وهي عادة كانت عند أهل العراق أيضاً ، في الألف الثالثة قبل الميلاد[3] .

وقد عثر في مواضع من جزيرة العرب على مقابر تبين انها من نوع المقابر التي يقال لها (تمولي) (Tumuli) ، التي عثر عليها في البحرين في نهاية القرن التاسع عشر . أما مقابر البحرين ، فهي تلال تكونت من قطع من الصخور ، وضع بعضها فوق بعض ، لتكون غرفة أو غرفتين،تكون احداهما فوق الأخرى في الغالب ، لتتخذ قبراً يوضع فيه الموتى ، وتكون سقوف الغرف من ألواح

---

١ Naval. P. 213.
٢ Cornwall, Ancient. P. 39.
٣ James H.D. Belgrave, P. 52.

الصخور . وبعد اغلاق باب القبر يهال التراب على الصخور ، حتى تتخذ شكل تلال . وقد عثر على بقايا خشب فيها ، مما يدل على استعمال الخشب في بنـاء هذه القبور التي يصل قاعدة بعضها الى حوالي خمسين ياردة في العرض وحوالي ثمانين قدماً في الارتفاع . ويقدر الباحثون الذين بحثوا عن هذه المقابر عـددها بزهاء خمسين ألف تل ، وبزهاء (١٠٠) ألف تل في تقدير بعض آخر ، أي خمسين ألف قبر أو (١٠٠) ألف قبر[١] . قبر فيها الإنسان والحيوان جنبـاً الى جنب ، كما يتبين ذلك من بقايـا العظام التي عثر عليها فيها . والغالب أنهم دفنوا الحيوان مع الإنسان ، ليستفيد منه الميت في العالم الثاني في عقيدة أهلهـا يومئذ ، وكما نجـد ذلك في اعتقاد المصريين واعتقاد غيرهم من الشعوب ، ولهذا دفنوا مع الموتى أواني وأدوات بيتية وحلياً وجواهر وفخاراً وغير ذلك مما يحتاج اليه الإنسان[٢] .

وقد عثر في هـذه المقابر على عدد من الجرار ، تشبه الجرار المستعملة في الوقت الحاضر ، مما يدل على أن الناس في الوقت الحاضر لا يزالون يسيرون على سيرة أجدادهم الذين عاشوا قبل الميلاد في عمل الجرار وسائر الخزف . وقـد صنعت تلك الجرار من الطين ، وضعه الخزاف على قرص دولاب يديره برجليه. واستعمل يديه في اكساب الطين شكل الجرة التي يريدها . ويميل لون هذه الجرار الى الحمرة . كما عثر على قشور بيض النعام ، وقد قطعت بصورة تجعلها كأساً يشرب بها . وعثر على أدوات أخرى،وكل ما عثر عليه غير مكتوب ولا مؤرخ، لذلك لا نعرف من أمره اليوم ولا من أمر أصحابه شيئاً[٣] .

وعثر رجال شركة (أرمكو) على عدد كبير من هذه المقابر عـلى حافات جبل (المذرى) الشمالي ، قدرها (كورنول) بالألوف ، وعثروا كذلك على عدد آخر من هذه المقابر في جبل (المذرى) الجنوبي[٤] . وقد حافظت بعض

---

١ J.H.D. Belgrave, Welcome to Bahrain, P. 51.

٢ Bent, The Bahrain Islands, Proc. Roy. Geogr. Soc. 12, London, 1890, Jouannin, A, "Les Tumuli des Bahrain", Memoirs de la Delegation in Perse, T., VIII, 1905, V., 149-157, Prideaux, F.B., The Sepulchral Tumuli of Bahrain, Archaeological Survey of India, Annual Rep. 1908-1909, Calcutta, Sanger, The Arabian Peninsula, P. 141.

٣ Belgrave, P. 52.

٤ Cornwall, P. 36.

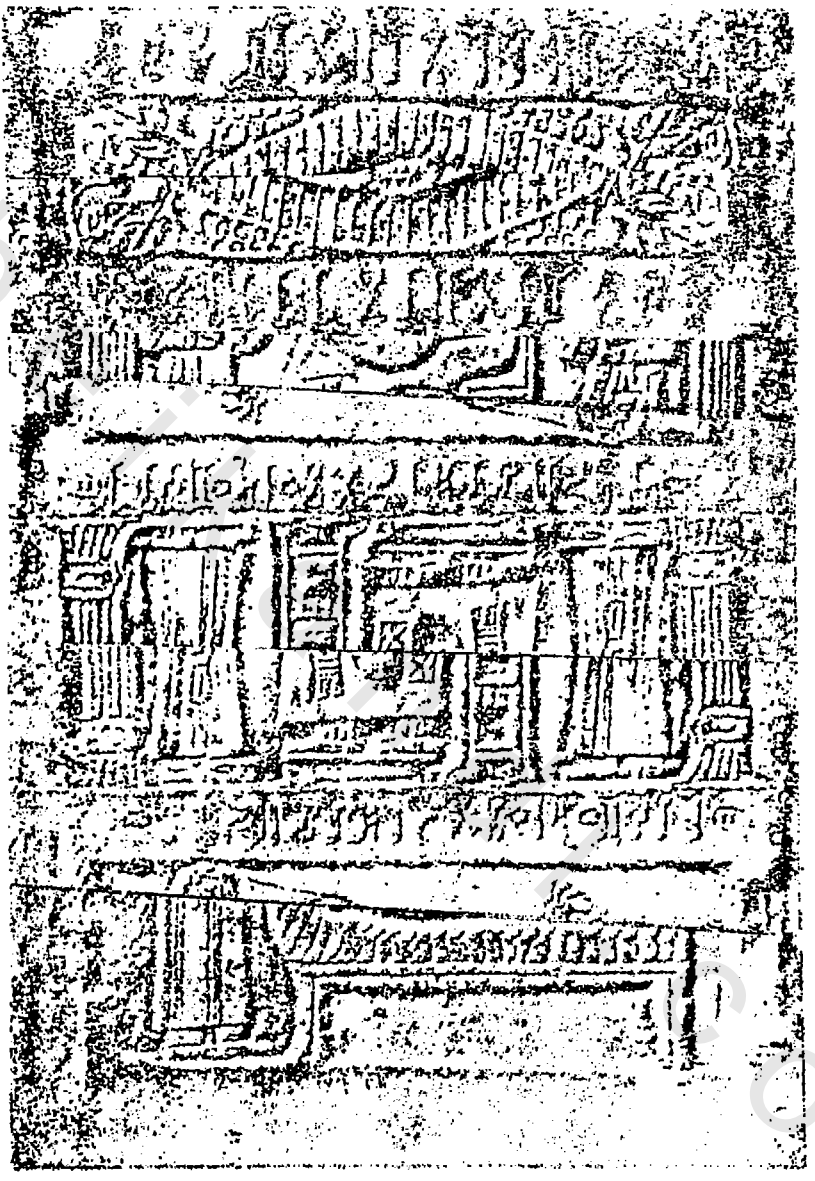

حجر يظهر أنه من الأحجار التي توضع شاهداً على القبور يمثل صورة امرأة يقال لها : « غللت بنت مندت » ويقال البنت في العربية الجنوبية « بت » أيضاً . وقد توصلت الى الإله « عشتر » بانزال الويل والثبور على من يتجاسر فينير هذا الحجر عن موضعه .

هذه القبور على أشكالها محافظة جيدة ، ويشبه بعضها القبور التي عثر عليها (فلبي) في الأقسام الجنوبية الغربية من جزيرة العرب[1] . ووجد (كورنول) مقابر أخرى في موضع (الرديف) الواقع على بعد (١١٠) أميال من شمال غربي (الدمام) ، وفي موضع يقع شمال (عين السبح) ، بمسافة أربعة أميال ، حيث بلغ قطر أحد تلك المقابر (٣٣) ياردة وارتفاعه (١٣) قدماً . وقد تمكن من الحصول على هيكل عظمي وعلى فخار وقطع من العاج وقشور بيض للنعام وأسلحة مصنوعة من البرنز[2] .

وعثر على مقابر في موضع (المويه) الواقع على (١٤٣) ميلاً من شمال شرقي مكة[3] . وقد وصف (فلبي) المقابر التي عثر عليها في (الرويق) وفي مرتفعات (العلم الأبيض) و (العلم الأسود) ، فقال : إن أكثرها قد عبث به العابثون ، فأخذوا ما كان داخل الغرف التي كان يوضع فيها الموتى من ذخائر ومواد ، وهي مختلفة الأحجام والارتفاع . ويظهر من وجود هذه المقابر في محال صحراوية بعيدة عن مواضع العمران وفي أماكن لا يقيم فيها الناس ، أن هذه المناطق كانت مأهولة قبل الإسلام ، وأنها كانت ذات تأريخ قديم جداً ، ربما يرجع في رأي (فلبي) الى أيام قدماء (الفينيقيين) وربما كان (الفينيقيون) في رأي (فلبي) أيضاً من الأفلاج والخرج ، حيث هاجروا بعدئذ الى البحرين[4].

وقد سمع (فلبي) بوجود مقابر أخرى من هذا النوع ، تعرف بين الناس باسم (الخشبة). وسمع (Thesiger) بمقابر أخرى في موضع (رهلة جهمين)[5]. وعثرت شركة (أرمكو) على مقابر عادية كثيرة العدد في (وادي الفاو) و (القرية) ، لم تحدد هوية أصحابها حتى الآن . وقد زارها (فلبي) ووصفها، وتبين له أن الموضع وهو (القرية) ، كان محاطاً بسور ، وجد في داخله آثار بيوت ومقابر ، وبين أنقاض المقابر أحجار مكتوبة تدل على أنها كانت شواهد قبور . وعلى مسافة من (القرية) كتابات وصور حيوانات مثل النعامة والأيل ، وصور أناس نقشت على الصخر[6] .

---

١ Cornwall. P. 36, Philby Sheba's, P. 373.
٢ Cornwall, P. 37.
٣ Philby. Sheba's. P. 373.
٤ Philby, Sheba's. P. 373.
٥ Beitrage, S. 16.
٦ Beitrage, S. 12.

ويظهر من وصف (جيرالد دي كوري) (Gerald de Gaury) (وفلبي) لمقابر الخرج أنها كثيرة العدد ، وأنها في مواضع متعددة من هذه الإيالة عند (فرزان) و (السلمية) و (الدلم) ، وهي متفاوتة الأحجام والارتفاع[1] . ولم يتمكن (دي كوري) من تعيين تأريخها ، ولا يمكن التثبت من ذلك بالطبع إلا بعد القيام بحفريات دقيقة وفحوص للعظام ولمحتويات القبور لمعرفة مكانها في التأريخ .

وقد وجد أن أبواب مقابر البحرين قد وضعت في الجهة الغربية ، مما يبعث على الظن على أن لهذا الوضع صلة بدين القوم الذين تعود اليهم تلك المقابر . وقد وجد أن المواد والأدوات التي عثر عليها في هذه المقابر تشبه المواد والأدوات التي عثر عليها في المقابر الأخرى التي عثر عليها في المواضع المذكورة من جزيرة العرب . ويظن بعض الباحثين أن أصحاب هذه المقابر كانوا يقيمون في الجهة المقابلة لجزيرة البحرين من الجزيرة ، أي على ساحل الخليج ، وكانوا قد اتخذوا الجزيرة مقبرة لهم ، فينقلون اليها موتاهم لدفنهم هناك . ومنهم من يرى أن تلك المقابر هي مقابر رؤساء الفينيقيين وأشرافهم الذين كانوا يقطنون البحرين ، وأن عهد تلك المقابر يرجع الى ما بين ٣٠٠٠ — ١٥٠٠ سنة قبل الميلاد[2] .

وقد عثرت البعثة الدانماركية في سنة (١٩٥٩ م) في البحرين جنوب طريق (البديع) على أربع مقابر تبين من فحصها أنها ترجع الى العصور الحجرية[3] . وعثر السياح على تلال في مواضع متعددة من عمان وقطر ، تبين أنها مقابر لعهود سبقت الميلاد .

وليست لدينا الآن دراسة علمية شاملة عن هذه المقابر : مقابر البحرين ، ومقابر المواضع المذكورة من جزيرة العرب ، إلا أن آراء من زاروها ورأوها ، تكاد تتفق في القول بوجود ترابط في الزمن فيما بينها ، ويرجعون أيامها الى عصر الـ (Chalcolithic) أو الى العصر البرنزي . ومنهم من يرى انها من العصر البرنزي المتأخر[4] ، ويرى أن المقابر المقامة على المرتفعات هي مقابر جماعة

---

١ Geogr. Journal. Vol. CVI, Numb. 3, 4, Sept-Octo. 1945 P. 152, Philby, Heart of Arabia, Vol. 2, P. 26.

٢ Sanger, The Arabian Peninsula, P. 141, Enc. Vol. I, P. 585.

٣ P.V. Glob, Archaeological Investigations in four Arab States, Kuml, 1959, P. 238.

٤ Sanger, P. 141.

من الصيادين أو الرعاة . أما المقابر المقامة على السهول المنبسطة فيرون انها مقابر قوم مزارعين مستقرين[1] .

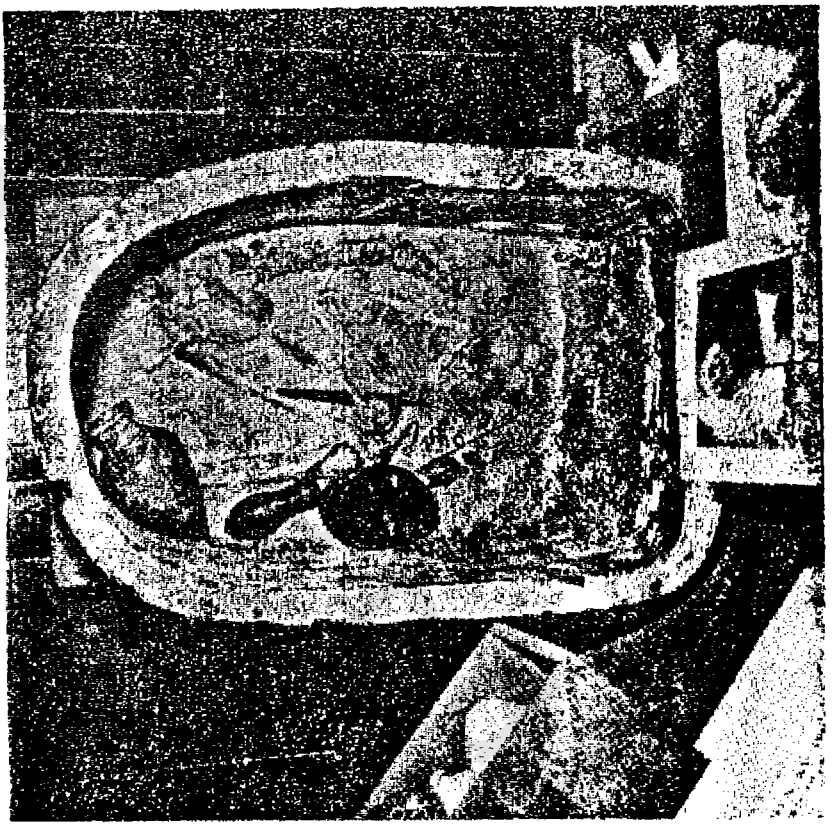

تابوت من الفخار على شكل حوض وأدواته ترجع الى عام ٦٠٠ قبل الميلاد
من نشرة دائرة الاعلام : حكومة البحرين

ويظن ان المقابر التي عثر عليها في جزيرة (ام النار) في (أبي ظبي) هي مقابر أقوام عاشوا في الألف الثالثة قبل الميلاد ، وقد عثر فيها على هياكل عظمية وعلى خرز وفخار عليه رسوم . وقد كسيت هذه المقابر وغطيت بحجارة منحوتة ، حفرت عليها صور ثيران وجمال وأفاعي وحيوانات أخرى . وقد نحتت

١ Cornwall, P. 37.

واجهة الحجر المحيطة بالصور لتظهر الصور بارزة عالية[1] . ويظهر من دراستها انها من عمل أيد أتقنت مهنتها ، وأجادت في فنها بالقياس الى تلك الأزمنة . وهي تحتاج الى دراسة لمعرفة مدى تأثرها بفنون الشعب الأخرى التي كان لها اتصال بهذه البلاد .

ان هذه المقابر تستحق الدراسة حقاً ، لأنها تتحدث عن وجود روابط فكرية مشتركة بين أصحابها ، وعن احتمال ارتباطهم بعقيدة دينية واحدة . ولا يستبعد أن تكشف بعض القبور السالمة التي لم تعبث بها أيدي البشر العاتية ، عن كتابات مطمورة في غرفها ، أو عن صور ونقوش ورموز تتحدث الينا عن هوية أصحابها وعن مكانتهم في التأريخ وفي الحضارة البشرية بالنسبة الى الأيام التي عاشوا فيها . وعندئذ نكون قد انتقلنا الى مرحلة جديدة من مراحل تأريخ العرب القديم ، لا نعرف اليوم من أمرها الا هذا النزر اليسير الذي نتحدث عنه .

ولست أستبعد أيضاً احتمال عثور المنقبين في المستقبل على آثار أصحاب هذه المقابر في مواضع لا يمكن أن تكون بعيدة عنها ، اذ لا يعقل أن يكون ذوو أرحام الموتى قد سكنوا في مواضع قصية نائية عنها . وأن قوماً لهم هذه المهمة في عمل هذه القبور ، لا بد أن يكونوا على درجة من الحضارة . والمخلفات التي عثر عليها في بعض هذه القبور هي خير شاهد على ذلك . فقد عثر فيها على حلي وعلى أوان من الفخار وعلى آثار أخرى مصنوعة تظهر براعة في الصنعة والاتقان . ولا يستبعد العثور على أمثالها في مستوطناتهم متى عثر عليها .

هذا ، وقد عثر بعض السياح على قبور جاهلية في حضرموت وفي اليمن وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب،الا أن هذه المقابر هي أحدث عهداً من تلك ، ثم انها قبور نحتت في الصخور نحتاً ، ولم تعمل على هيأة تلال على النحو الذي وصفناه . ولـ (كارل راتجن) (Carl Rathjens) وصف مفصل لمقابر منحوتة زارها تقع على مقربة من مدينة (كوكبان) في اليمن . وهي كثيرة منحوتة في جانب الجبل ، منها المنفردة المنعزلة ومنها ما نحتت بعضها فوق بعض . وقد وجد أن أكثرها قد لعبت بها الأيدي ، فأخذت ما كان فيها ، فخلت من كل شيء . وقد عثر على كتابة سبئية عند أحد أبواب هذه المقابر ، مما يدل على

---

١ تقرير شامل عن الحفريات الاثرية في جزيرة « فيلكا » ، ١٩٥٨ ـ ١٩٦٣ م ، الكويت (ص ٢٤) .

انها كانت لقوم من سبأ[1]. ولا يستبعد بالطبع أن يكون أولئك الناس قد توارثوا هذا النوع من القبور من أسلاف لهم كانوا قد نحتوها .

وعلمنا بأحوال جزيرة العرب في العصور (البرنزية)، لا يزيد على علمنا بالعصور الحجرية فيها . فهي ضحلة يسيرة ، لأن ما عثر عليه من مخلفات تلك العصور ليس بشيء يذكر ولا يكفي لاستنباط آراء منه . ولا يستبعد بالطبع احتمال عثور المنقبين في المستقبل على آثار قد ترجع الى هذه العصور ستهتك الحجب التي تحول الآن بيننا وبين التعرف على تلك الحقب القديمة من تأريخ الجزيرة . وقد وجدت (البعثة الدانماركية) التي نقبت في جزيرة (فليكا) من جزر الكويت على آثار من هذه العصور[2] ، إلا أن ما عثر عليه لا يكفي لإعطاء رأي علمي كاف عن العصور البرنزية في هذه الأرضين .

وقد عثر في جزيرة (فيلكا) على آثار سكنى وبقايا أبنيـة وهياكل يرجع عهدها الى الألف الثالثة قبل الميلاد ، وقد تبين أن هذه الجزيرة والجزر الأخرى الواقعة في الخليج كانت ملاجىء يلجأ اليها أصحاب السفن والتجار في تلك الأزمنة للاستراحة ولشراء ما يجدونه عند أهل السواحل المقابلة ، وللتمون بمـا يحتاجون اليه من ماء وزاد . ولأهميتها هـذه اهتمت بها وبالسواحل المقابلة لها حكومات العراق ، فاستولى عليها الأكاديون والآشوريون واليونان .

وقد عثر على مواد مصنوعة من حديد من العصر الحديدي ، غير أنها قليلة لا يمكن أن تكوّن لنا رأياً واضحاً من العصور الحديدية في جزيرة العرب .

وعثر على بقايا جماجم بشرية في (الظهران) تبين من دراستها وفحصها على أنها من العصور (البرنزية)[3] .

وتدل الأدوات المكتشفة عـلى قلتها على أن شعوب جزيرة العرب حتى في الأزمان البعيدة عن الميلاد كانت على اتصال بالعالم الخارجي ولا سيما العراق وبلاد الشام وحوض البحر المتوسط والقارة الإفريقية، وأنها كانت تستورد منها ما تحتاج

---

١ Carl Rathjens, Sabaeica, I, S. 105.

٢ تقرير شامل عن الحفريات الاثرية في جزيرة فيلكا ، ١٩٥٨ ـ ١٩٦٣ م الكويت مطبعة الحكومة ، من منشورات وزارة التربية والتعليم ، (ص ٩) .

٣ H. Field, Papers of the Peabody Museum, 38/2, (1956), 58, A. Grohmann, Arabien, S. 15.

اليه من مواد وتبيع لها ما عندها من سلع خام أو من سلع تستوردها من السواحل الإفريقية أو الهند ، وأنها لم تكن في يوم من الأيام بمعزل عن بقية العالم .

والعراق وبلاد الشام ، أي الأرضون التي يقال لهـا (الهلال الخصيب) في الزمان الحاضر ، هي من الناحية الطبيعية وحـدة لا يستطاع فصلها عن جزيرة العرب ، وامتداد طبيعي لها[1] . وليست البادية الواسعة التي تملأ باطن الهلال إلا جزءاً من جزيرة العرب ، وامتداداً لها ، لا يفصلها عنها فاصل ، ولا يحد بينها حدّ ، واذا ما تنقلت من بادية الشام الى بوادي المملكة العربية السعودية ، فلا تجد أمامك شيئاً يشعرك بوجـود فروق بين طبيعة هذه الأرضين الواسعة ، أو وجود حواجز تمنع سكانها من الهجرة نحو الشمال أو الى الجنوب[2] . ولهذا كان من الطبيعي تنقل الناس في هذين الأرضين منذ وجدوا فيها وظهروا عليهـا بكل حرية ، وبحسب الظروف السياسية والعسكرية والاقتصادية .

وتأريخ ظهور العرب في بادية الشام وفي أطراف الهلال الخصيب ، تأريـخ قديم جداً ، ولكننا لا نستطيع تحديد مبدئه ، ولا تثبيته ، لأننا لا نملك أدلة علمية تعينه وتحدده . ثم ان كلمة (العـرب) لم تكن تعني عند الشعوب التي عاشت قبل الميلاد ، غير معنى (أعراب) ، وكانت اذا ما ذكرت لفظـة (عرب) تقصد البدو على نحو ما ذكرت في الفصل الأول في تحديد معنى هذه اللفظة . أما العرب المستقرون ، أو شبه الحضر ، فقد عرفوا عندهم بأسمائهم ، ولهذا اشتبه أمرهم علينا ، وعسر على العلماء تعيين هوياتهم ، لعدم نص الكتابات أو الكتب القديمة على انهم عرب بمعنى جنس للسبب المذكور ، فصرنا في حيرة من أمرهم ، وفي التوراة أسماء قبائل كثيرة ، نسبت الى آباء وأجداد ، يجب أن تعد من العرب ، ولكن التوراة لم تطلق عليها لفظة (عرب) ، لأنها لم تكن قبائل بدوية وليست اللفظة فيها الا بهذا المعنى ، فحار العلماء في تعيين أصل كثير منها ، وما زالت حيرتهم هذه حتى اليوم . وليس من المستبعد أن يكون بـين الشعوب القديمة شعوب عربية ، الا انهـا لم تعد من العرب لأن اللفظة لم تكن علماً على جنس قبل الميلاد .

---

١ الهلال الخصيب (Fertie Crescent) اصطلاح أطلقه « برستيد (H. Brested) لاول مرة بهذا المعنى ، على القوس المتكون من العراق وبلاد الشام .

٢ Franz Stuhlmann, Der Kampf um Arabien, S. I.

واذا ما أخذنا بنظرية القائلين ان جزيرة العرب هي مهد الساميين ، جاز لنا أن نقول عندئذ ان معظم أهل الخصيب والبادية هم من معمل تفريخ الجنس السامي الكائن في تلك الجزيرة ، وان ذلك المعمل هو الذي أمدّ هذه الأرضين الممتدة من ايران الى البحر المتوسط بسلالات الساميين . فصلة جزيرة العرب بالهلال الخصيب صلة قديمة ترجع الى الأيام الأولى من أيام الساميين ، على هذه النظرية ، وربما ترجع الى أقدم من تلك الأيام .

وسنرى فيما بعد أن حكام العراق كانوا قد استولوا على العروض في الألف الثالثة أو قبلها قبل الميلاد ، وانهم نزلوا في البحرين وفي جزر أخرى من جزر الخليج ، وان أصل الفينيقيين هو من البحرين في رأي كثير من العلماء ، منها هاجروا الى أرض (فينيقية) وسواحلها ، وما كان ذلك ليتم لو كانت جزيرة العرب بمعزل عن الهلال الخصيب أو عن بادية الشام ، أو ان الهلال والبادية كانا بمعزل عن جزيرة العرب .

وقد ذكر ان جماعة من تجار(أور) كانوا يتاجرون في حوالي السنة ٢٠٠٠ ق.م مع البحرين . وكانوا قد أنشأوا أسطولاً لنقل التجارة [١] . ويقال ان (سرجون) الأكادي استولى في حوالي السنة (٢٣٠٠ ق. م.) على البحرين وقطر ، وان البحرين كانت في حوالي السنة (١٧٥٠ ق. م.) في يد قبيلة اسمها (أكاروم) (أجارم) (Agarum) ، وهو اسم قريب من (أجرم) ، وانها كانت تدفع الجزية الى الملك (اسرحدون)[٢] . وقد ذهب بعض الباحثين الى أن(Agarum) هم أهل مدينة (هجر) التي هي الأحساء[٣] .

وقد كانت العلاقات التجارية مستمرة دوماً بين البحرين وبين العراق . إذ كانت (دلمون) محطة مهمة جداً للتجارة بين الهند وإفريقية وسواحل الخليج والعراق . تستورد الأخشاب من الهند ومن إفريقية كما تستورد الحاصلات الأخرى وتنقل النحاس من عمان ، فتبيع ذلك الى جنوب العراق ، وربما حملت تلك التجارات بسفن يملكها أهل (أور) أو غيرهم خلال نهر الفرات ، لنقلها من

---

١ P.V. Glob, Bahrain, Kuml, 1954, 103, Bahrains Oldtidshovedstad, Kuml, 1954, 169.

٢ Arabien, S. 257, H. Field, Ancient and Modern Man in Southwestern Asia, 108, Archiv fuer Orientforschung, 16, (1952-1953), 6-9.

٣ Arabien, S. 257

هناك الى بلاد الشام ومنها الى البحر المتوسط لبيعها الى أهل اليونان وبقية أرجاء (أوروبة) . وقد تبين من الأخبار التي تعود الى أيام الأسرة الثانية من أسر (أور) أن سفن ذلك الوقت (٢٢٠٠ – ٢١٠٠ ق . م) كانت تقوم برحلات منتظمة فيما بين البحرين و (أور) ، وذلك لنقل ما يرد الى هذه الجزيرة من نحاس ومن أحجار ثمينة من عمان ، ومن ذهب وأخشاب وأفاويه ومواد أخرى ثمينة من الهند[1] .

وقد نزلت جاليات عراقية في البحرين ، كما هاجرت جاليات من البحرين الى العراق فسكنت بـه . وما الإلـه (انزاك) (Inzak) الذي عبد في جنوب العراق وشيدت المعابد باسمه ، إلا علامة على هجرة أهل البحرين الى العراق ، وتأثر أهل العراق به . فهذا الإلـه هو إلـه أصله من آلهة أهل البحرين . وانتقال عبادته الى العراق دليل عـلى تأثر العراقيين بثقافة أهل البحرين ، ونقل أهل البحرين له معهم الى وطنهم الجديد .

وقد كانت البحرين ترتاح كثيراً عند انشغال أهل العراق بالتحارب فيما بينهم ، أو بانشغال الحكومات المهيمنة عليه بمحاربة جيران العراق من الدول القوية الكبيرة ، اذ تلهيهم تلك الحروب عن التفكير في السيطرة على البحرين وابتزاز الأموال من أهل الجزيرة ، وتكون مثـل هذه الظروف فرصة ثمينة للدلمونيين ، إذ يجدون أسواقاً رائجة تشتري منهم ما يأتون به الى جنوب العراق ، كما يجدون الحكومات مشغولة في معالجة مشكلاتها فلا تشتط كثيراً في أخذ الضرائب من أولئك التجار .

والكتابات الآشورية ، هي أقدم سجل ، لا شك في ذلك ، يشير الى وجود (العرب) في الأرضين الواسعة الممتدة من الفرات الى مشارف بلاد الشام . ولكن العرب فيه هم أعراب ، لا أقل من ذلك ولا أكثر : أعراب متنقلون في الغالب ، هائمون في البادية حيث الماء والكلأ والارتزاق من الغارات على الآشوريين وعلى غيرهم . والى هـذه الغارات يعود ، ولا شك ، فضل اضطرار الآشوريين الى الإشارة اليهم في تلك الكتابات ، ولولاها لما ذكروا فيها ولا أشير اليهم . وقد وجد هؤلاء الأعراب قبل زمان هذا التسجيل بأمد طويل من دون ريب ، ومن يدري ؟ فقد يعثر على كتابات جديدة من زمن سحيق ، يسبق زمن الكتابات

---

١ Belgrave, P. 55.

الآشورية ، يرد فيها شيء من الأعراب فترتفع بذلك معارفنا عنهم الى زمن أبعد من هذا الزمن المنصوص عليه في كتابات الآشوريين .

أما الموارد الإسلامية ، فقد اضطربت في تعيين الزمن الذي ظهر فيه العرب في بادية الشام ومشارقها وفي العراق ، ولكنها كلها لا تعرف تأريخاً يسبق التاريخ المذكور في النصوص الآشورية . وما ذكروه عن ظهور العرب في هذه البلاد ، فهو مأخوذ من قصص اسرائيلي . ويظهر من رواية (لهشام بن محمد الكلبي) أن العرب كانوا في أرض العراق في أيام (بختنصر) ، وانهم كانوا تجاراً يقدمون العراق للتجارات ، وذلك في أيام (معد بن عدنان) ، وان (بختنصر) جمع من كان في بلاده من العرب حين همّ بغزو العرب في جزيرتهم ، اذ نزل وحي من الله على (برخيا) ، فبنى لهم (حيراً) على النجف وحصنه ، ثم ضمهم فيه ، ووكل بهم حرساً وحفظةً ، ثم نادى في الناس بالغزو . وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب ، فخرجت اليه طوائف منهم مسالمين مستأمنين ، فأنزلهم (بختنصر) السواد على شاطىء الفرات ، فابتنوا عسكرهم بعد ، فسموه (الأنبار) ؛ وخلّى عن أهل الحيرة ، فاتخذوها لهم منزلاً . فهذا كان مبدأ نزول العرب في العراق[1] .

ويظهر من رواية أخرى (لابن الكلبي) كذلك ان الذي أنزل العرب في العراق هو (تبع) ، فالعرب الذين نزلوا الحيرة والأنبار هم قوم يمانون . و (تبع) هذا حكم – على زعمه – بعد (ياسر انعم) ، الذي حكم بعد بلقيس ، وهو (تبان أسعد) ، وهو (أبو كرب بن ملكي كرب بن تبع ابن زيد بن عمرو بن تبع) ، وهو (ذو الأذعار بن أبرهة تبع ذي المنار ابن الرائش بن قيس بن صيفي بن سبأ) ، وكان يقال له (الرائد) . وقد خرج من اليمن حتى نزل على جبليّ (طيء) (جبل شمّر) ، ثم سار يريد (الأنبار) . فلما انتهى الى (الحيرة) ليلاً ، تحير فأقام مكانه ، فسمي ذلك الموضع (الحيرة) . ثم سار ، وخلف به قوماً من (الأزد) و (لخم) و (جذام) و (عاملة) و (قضاعة) ، فبنوا وأقاموا به ، ثم انتقل اليهم بعد ذلك ناس من طيء وكلب والسكون و (بلحارث بن كعب) و (إياد) ، ثم توجه

---

١ الطبري (١/٢٩١) « المطبعة الحسينية » .

الى (الأنبار) ثم الى (الموصل) ، ثم الى (أذربيجان) ، فلقي الترك ، ثم انكفأ راجعاً الى اليمن . وأقام العرب في العراق . « ففيهم من قبائل العرب كلها من بني لحيان وهذيل وتميم وجُعْفي وطيء وكلب »[1] . فهذا كان مبدأ نزول العرب السواد من أرض العراق .

وحكى (الطبري) رواية أخرى عن (ابن الكلبي) متممة للرواية الأولى عن نزول العرب أرض العراق ، خلاصتها : أن العرب الذين أسكنهم (بختنصر) الحيرة ، انضموا بعد وفاة هذا الملك الى أهل (الأنبار) ، وبقيت الحيرة خراباً . فلما كثر أولاد (معد بن عدنان) ومن كان معهم من قبائل العرب ، وملأوا بلادهم من تهامة وما يليهم ، فرقتهم حروب وقعت بينهم ، وأحداث حدثت فيهم ، فخرجوا يطلبون المتسع والريف فيما يليهم من بلاد اليمن ومشارف الشام ، وأقبلت منهم قبائل حتى نزلوا البحرين ، وبها جماعة من (الأزد) كانوا نزلوها في دهر (عمران بن عمرو) من بقايا (بني عامر) ، فاجتمع بالبحرين جماعة من قبائل العرب ، فتحالفوا على (التنوخ) ، وهو المقام ، وتعاقدوا على التآزر والتناصر ، فصاروا يداً على الناس ، وضمهم اسم (تنوخ) . وتطلعت أنفس من كان بالبحرين من العرب الى ريف العراق ، وطمعوا في غلبة الأعاجم على ما يلي بلاد العرب منه ، أو مشاركتهم فيه ، واهتبلوا ما وقع بين ملوك الطوائف من الاختلاف ، فأجمع رؤساؤهم على المسير الى العراق ، ووطن جماعة ممن كان معهم على ذلك ، فكان أول من طلع منهم (الحيقار بن الحيق) في جماعة قومه وأخلاط من الناس ثم أعقبتهم موجات أخرى استقرت في الحيرة والأنبار وغيرهما من الأماكن بعد أن تغلبوا على (الأرمانيين)[2] .

وروي عن (ابن الكلبي) أن (أردشير) لما استولى على الملك بالعراق ، كره كثير من (تنوخ) أن يقيموا في مملكته ، وان يدينوا له ، فخرج من كان منهم من قبائل (قضاعة) الذين كانوا أقبلوا مع (مالك وعمرو ابني فهم) و (مالك بن زهير) وغيرهم ، فلحقوا بالشام الى هناك من قضاعة . ثم وصلت اليهم جموع أخرى من قبائل العرب ، فكونوا ممالك وأمارات ، سوف أتحدث عنها[3].

---

١ الطبري (٢/٣) « المطبعة الحسينية » .
٢ الطبري (٢/٥٩) « المطبعة الحسينية » .
٣ ابن خلدون (٢/٢٧٨) .

هذا ما وصل اليه علم الأخباريين عن العرب في الهلال الخصيب ، وهو علم لا يستنـــد بالطبع الى نصوص عربية جاهلية ، وإنما أخذ من روايات شفوية ، وأخبار وردت على ألسنة الأخباريين ومن روايات أهل الكتاب .

ومن الخطأ بالطبع أن نتصور أن وجود العرب في بادية الشام وشاطىء الفرات وأطراف دمشق يرتقي إلى أيام الآشوريين ، أو قبل ذلك بقليل . فوجود العرب في هذه الأرضين هو أقدم من هذا العهد بكثير . وإذا كنا قد أشرنا الى وجودهم في المواضع المذكورة في هذا العهد ، فلأن الكتابات الآشورية هي أقـدم كتابة وصلت الينا ووردت فيها إشارة الى العرب، وإلا فإن العرب هم في هذه الأرضين قبل هذا العهـــد بكثير . في عهد لا نستطيع بالطبع تعيين ابتدائه ، لأن هذه الأرضين هي امتداد لأرض جزيرة العرب ، والتنقل بينها وبـــين جزيرة العرب هو تنقل حرّ ليس له حاجز ولا حدود ، فلا نستطيع إذن أن نقول متى سكن العرب بادية الشام .

وقد لاقت القبائل العربية مقاومة شديدة وعنتاً شديداً من الحكومات التي حكمت العراق والحكومات التي حكمت بلاد الشام ، فقد وقفت تلك الحكومات منـــذ الدهر الأول لها بالمرصاد ، وأبت أن تسمح لهـــا بالتوغل في داخل أرضها التي تحكمها حكماً فعلياً ، ذلك لأنها كانت تهاب الأعراب وتخشى من البداوة ، إذ لم يكن من السهل على البدو تغيير سننهم واقتباس سنن الحضر ، ثم إنهم كانوا يغيرون على الحضر وعلى الحدود لأخذ ما يجدونه أمامهم. وقد ترك غزو الأعراب للحدود أثراً سيئاً راعباً في نفوس الحكام جعلهم لا يتسامحون في دخول البدو الى أرض الحضارة ، ما دامت للحكام قوة ، ولم يتساهلوا معهم إلا بالوصـول الى حدود الحضارة ومشارفها ، وذلك لأنهم نصبوهم حرساً لهم ، يمنع القادمين الجدد من البادية من الدنو من أرض الحضارة ، ويدافع عن الحدود ساعة الخطر ، ويهاجم مع القوات النظامية للحكومة الحاكمة أرض العدو في الحروب ، وفي أيام السلم لإلقاء الرعب والفزع في نفس العدو وإكراهه على تنفيذ مطلب يراد منه .

وقد اضطرت الحكومات الى دفع أكل وطعم وهبات وعطايا سخية لسادات القبائل الحرّاس في مقابل قيامهم بحراسة الحدود . إذ لم يكن في استطاعة تلك الحكومات القيام بها بنفسها ، ولا سيما في تعقب الأعراب وملاحقتهم في البوادي وغزو أعراب العدوّ ، فصارت لسادات القبائل جعـــالات سنوية وهدايا وألطاف

وبعض امتيازات لاسترضائهم وإسكاتهم ما داموا أقوياء أعزاء ، وجعلت معهم في بعض الأحيان حاميات من قوى تلك الحكومات عليها سياسيون وقادة لمراقبة أعمال سادات القبائل والحدّ من غلواتهم، ولمساعدتهم عند ظهور سيد آخر قوي منافس في الميدان يريد مهاجمة الحدود أو انتزاع الرئاسة من سيد القبيلة صاحب الامتيازات.

والحكومات هم عادة الى جانب سادات القبائل ما دام السادات أقوياء أعزاء. فإذا بدا الوهن عليهم ، وتبين أن الأمر قد أفلت من أيديهـم ، وان سادات جدداً أصحاب كفايات وقُدَر ورؤساء أقوى من رؤساء القبائل القديمة قد برزوا في الميدان ، وقد أخذوا على أيدي السادات القدامى ، وأن المصلحة تقتضي الآن التحول من القديم الى الجديد ، تحولت تلك الحكومـات الى السادات الجدد ، واتفقت معهم على شروط مرضية ، للقيام بأداء المصالح والواجبات المذكورة حتى يظهر منافس جديد ، يتطاول على القديم فيأخذ مكانه. وهذا هو سر تعدد حكم سادات القبائل ، وانتزاع قبيلة الحكم من قبيلة أخرى ، وتغير حكم (آل فلان) و (آل فلان) ، وحلول حكم قبلي محل حكم قبلي سابق.

وسادات القبائل هم على هذه السنة أيضاً ، فكانوا اذا وجـدوا ضعفاً في الحكومة المهيمنة على العراق أو على بلاد الشام وأدركوا انها في وضع حـرج، تقدموا اليها بمطالب جديدة وبشروط جديدة ، تكون متناسبة مع حراجة الموقف. فإذا لم تجب قام سيد القبيلة بتهديد مصالح الحكومة وبغزو أرضها أحياناً ، وقد يفاوض العدو للاتفاق معه عليها ، وقد يثور ويخرج عن طاعتهـا ، ويظل هذا شأنه حتى تجاب مطالبه ، أو يتفق معها على شروط يرضى عنها . وينطبق هذا الوضع على الأعراب الذين يجاورون الحضر ، فعلى الحضر دفع جعالة الى سيد الأعراب في مقابل حمايتهم لهم ومنع القبائل الأخرى المجـاورة من الإغارة على أولئك الحضر . ويتقيد هؤلاء السادة بعهودهم مع الحضر ما دامت في مصالحهم. أما اذا رأوا أن الحضر في وضع حرج وأن الحكومة التي ترعاهم ، أو حكومة المدينة ضعيفة غير قادرة على الدفاع عن نفسهـا ، فإن الأعراب يفرضون على الحضر مطالب جديدة ، ويأخذون منهم امتيازات اضافية مثل حق الارتواء من الآبار ومن مجاري الماء ، وحق رعي ماشيتهم في زرع الحضر ، الى غـير ذلك من شروط ، يضطر الحضر الى الموافقة عليها للمحافظة على حياتهم وأموالهم ، والا تعرضوا للغزو ولكوارث أخرى قد تنزل بهـم أضراراً تزيد على ما يطلبه

الأعراب منهم بكثير .

وللسيطرة على حركات الأعراب ولضبطهم ، أقامت حكومات العراق وبلاد الشأم لها (مسالح) ، أي مواضع حصينة تعسكر فيها قوات نظامية في البادية ، يترأسها ضباط ، وضعت فيها كل ما يحتاج اليه من سلاح ومؤن وذخائر وقوات كافية للقيام بمثل هذه المهمات الخطيرة في البوادي . وقد حفرت لها آباراً للارتواء منها . ونصب ضباط هذه الحصون أنفسهم حكاماً يتحكمون في البوادي التي يشرفون عليها ، يفضون مشكلات القبائل ، ويحافظون على الأمن ، ويراقبون تحركات الأعراب وتنقلاتهم ، ليكونوا على حذر منهم ومن غزواتهم المفاجئة للحدود . وقد بقيت هذه (المسالح) الى أيام فتوح المسلمين للعراق ولبلاد الشأم . وكان من واجبات هذه الحصون توزيع الأرزاق على الأعراب أيام الشدة والضيق ، والتقرب الى سادات القبائل ، وعقد صداقات معهم ليستفاد منهم في كبح جماح أتباعهم ، ويحولوا دون تحرشهم بهم ، ولئلا يقوموا بمهاجمة الحدود.

وكان أقصى مكان سمح للعرب بالوصول اليه هو الشاطىء الغربي لنهر الفرات ، وحدود الحضارة لبلاد الشأم وأعالي البادية ، أي قصر البادية الأعلى. أما ما وراء ذلك ، فكان من الصعب على العرب الوصول اليه ، لتشدد الحكومة في منعهم من الدنو منه ، وتصلب الحضر تجاههم . ولم يدخله من العرب الا أفراد أو جماعات تنكرت للبادية ولسننها ، وكفرت بسنة الغزو ، ورأت في الزراعة وفي احتراف الحرف شرفاً لا يقلّ عن شرف رعي الإبل والتنقل بها من مكان الى مكان . أما الذين وقفوا عند هذه الحدود ، وهم السواد الغالب ، فقد بقوا على سنن البادية ، مخلصين لها مؤمنين بحق الغزو والقوة ، الا من اشتم رائحة الحضارة وتنفس قليلاً من ريح الحضارة ، وجاور الفرات ومشارف الشام ، حيث تلوح معالم الحضر ، فقد طوّر نفسه بعض التطور ، واستقر في الأرض بعض الشيء وصار وسطاً بين الحضارة والبداوة ، لا هو حضري كسل الحضري ، ولا هو أعرابي تام الأعرابية ، وانما وسط بين بين ، ومنزلة بين المنزلتين .

ولم يكن من الممكن للأعرابي أن يدرك قيمة الزرع والغرس وحياة الاستقرار لأن الماء وهو جوهر الزرع غير متوافر لديه ، ولأن الأمن غير موجود عنده ، فهو متى زرع واستقر وكون مجتمعاً حضرياً صغيراً ، هاجمه من هم على شاكلته من أهل البادية وسلبوه كل ما لديه . ومجتمعه مجتمع صغير لا يستطيع الاعتماد

على نفسه والركون الى قوته في صد عادية الغزاة ، لذلك حالت هـذه الظروف دون السكـنى والزرع والاستقرار . إلا في الأماكن الـتي وجدت فيها مياه ، وتوافرت لديها القوة ، كما لم يكن من السهل على سادات القبائل اكراه أتباعهم على الاستيطان والسكنى في بيوت من مدر ، ذلك لأنهم هم أنفسهم أبناء بادية ، وآراؤهم آراء أعرابية ولا يفكر في هـذه الشؤون إلا من كان حضرياً مستقراً ومن ولد ونشأ وتثقف في أرض الحضارة . ثم إن تنفيذها يستدعي وجـود مال وأمن وقوة رادعة تمنع الأعراب من إفساد ما يقوم به الحضري من عمل مجهد . ولم تكن هذه متوافرة عند سادات القبائل ، ولم يكن في وسع سيد القبيلة الذي يجب أن يكون محترساً يقظاً حتى لا يفاجئه منافس طامع من أهل البادية فيأخـذ مكانه ، أن يأمر قومه بالاستيطان ، ووضعه على هذه الحالة من القلق وعـدم الاستقرار . لذلك قضت طبيعة هذه البيأة على غالبية الأعراب التي جـاءت الى هذه الأماكن بأن تعيش عيشة أعرابية أو عيشة رعي ، تعيش على ماشيتها بدلاً من الاستقرار استقراراً دائماً والاشتغال بالزراعة والاتجار بالزرع .

لقد كانت القبائل العربية قد توغلت في (طور سيناء) منذ القدم . ولا بد أن تكون هذه القبائل قد نزلت مصر أيضاً ، فمن يصل الى (طور سيناء) يكون قد طرق أبواب مصر . ذهبت تلك القبائل الى مصر تحمل اليها مـا عندها من سلع ، وفي جملتها البخور والمر والحاصلات الأخرى التي عرف العرب بالاتجـار بها ، غير أننا لا نملك وياللأسف نصوصاً تأريخية نستطيع أن نعتمد عليهـا في اثبات ذلك الاتصال . نعم ، عثر على صور ومدوّنات مصرية للسلالات الملكيـة الأولى ، تشير الى البدو ، والبدوي هو (عمو) في اللغة المصرية[1] . غير أننـا لا نستطيع أن نؤكد أن أولئك البدو ، هم أعراب من أعراب طور سيناء ، أو من بدو مصر أو من أعراب جزيرة العرب .

والذين يتحدثون اليوم عن صلات السلالات الملكية المصرية القديمـة بالعرب وببلاد العرب ، إنما يتحدثون عن حدس وتخمين ، لا عن وثائق ونصوص أشير فيها صراحة الى العرب والى بلاد العرب ، وإن كنا لا نشك كما قلنا بوجوب وجود صلات قديمة جداً ربطت بين مصر وبلاد العرب ، لا سيما أن مصر متصلة

---

1 Breasted, Ancient Records of Egypt, Vol. I, 450, 483, O'leary, Arabia, P. 28, Naval, P. 214.

فعلاً بجزيرة العرب من ناحية البر عن طريق (طور سيناء) ، ثم إنها على الساحل المقابل للجزيرة ، فلا بد أن يكون هناك اتصال بري وبحري قديم بين الغرب والمصريين . ولا يستبعد احتمال عثور المنقبين في المستقبل على آثار قد تتحدث عن هذا الاتصال .

يظهر من أقوال (هيرودوتس) و (بليتيوس) ، وغيرهما من (الكلاسيكيين) ، ان الأقسام الشرقية من (مصر) ، ولا سيما المناطق المتصلة بـ (طور سيناء) كانت مأهولة بقبائل عربية . وقد ذكرت أسماء عدد منها في كتب هؤلاء[1] . ولم تستقر هذه القبائل في أيام هؤلاء (الكلاسيكيين) ، بل سكنت قبلهم بأمد طويل كما يظهر ذلك من كتبهم . وقد أطلق (الكلاسيكيون) على البحر الأحمر اسم (الخليج العربي) (Arabici Sinus) (Sinus Arabicus) ، وفي هذه التسمية معنى يشير الى نفوذ العرب وهيمنتهم على هذا البحر[2] .

ومعارفنا بصلات العرب بالحكومات العراقية القديمة ، مثل حكومة السومريين والأكديين (الأكاديين) ، لا تزيد على معارفنا المذكورة بصلات المصريين بالعرب ، فهي حتى الآن قليلة ضئيلة ، ولكن ضآلة ما لدينا من معلومات لا يمكن أن تكون سبباً في الحكم بعدم وجود صلات وثيقة بين سكان الخليج وسكان العراق ولا سيما القسم الجنوبي منه في أيام السومريين ، بل وقبل أيامهم أيضاً ، فالعراق هو امتداد طبيعي لتربة ساحل الخليج ، وهو جزء طبيعي من جزيرة العرب . وهو من ثم لا يمكن أن يكون بمعزل عن أرض الساحل وعن بقية أرض جزيرة العرب .

وقد يكون لاسم أرض (دلمون) ، وهي أرض السلامة والنظافة ، والأرض التي لا تعرف الموت ولا الأمراض والأحزان ، والتي لا ينعب فيها غراب ، ولا ترفع الطيور أصواتها بعضها فوق بعض ، والتي لا تفترس أسودها ، ولا يأكل ذئب فيها حملاً ، الجنة في الأسطورة السومرية،علاقة بـ (دلمون) التي هي جزيرة البحرين في لغة قدماء أهل العراق . وقد حوّل الخيال السومري ، أو خيال من عاش قبلهم على تلك الأرض الى أرض مسالمة مثالية لا قتال فيها ولا موت

---

١ Herodotus, Vol. I, P. 118, 120, 190, 196, Pliny, Natr. Hist. Vol. II, Bk. VI, 165 P. 463ff.

٢ Forster, II, 154.

ولا حزن ، استمده من تلك الجزيرة المسالمة الواقعة في الخليج[1] .

ويحدثنا نص كتب عن فتوحات (لوكال – زكه – سي) (Lugal-Zagge-Si) (٢٤٠٠ – ٢٣٧١ ق. م.) ، وهو من رجال السلالة الثالثة من ملوك (الوركاء) (Uruk) ، أن فتوحاته كانت قد امتدت من (البحر الأسفل) (الخليج العربي) الى (البحر الأعلى) (Upper Sea) ، أي البحر المتوسط. ومعنى هذا ان حكمه كان قد شمل الخليج العربي[2] .

وفي أخبار (سرجون) الأكدي، المعروف بـ (شروكين) (Sharru-Kin) (٣٣٧١ – ٢٣١٦ ق. م) ، أي العادل ،أن فتوحاته بلغت (البحر الجنوبي) (البحر التحتاني) (البحر الأسفل) ، أي الخليج العربي ، وأنه استولى على مواضع منه[3] . و (سرجون) ، هو أقدم ملك أكدي ، يقص علينا خبر وصول الأكديين الى تلك الجهات .

ويلاحظ أن قدماء العراقيين كانوا يطلقون على البحر المتوسط (البحر الأعلى) ، وعلى الخليج العربي (البحر الجنوبي) (The Lower Sea)[4] . وذهب بعض العلماء الى أن المراد من (البحر الأعلى) بحيرة (وان)[5] .

وقد أرسل الملك الأكدي (منشتوسو) (Manishtusu) (٢٣٠٦ – ٢٢٩٢ ق. م) حملة عسكرية بحرية ،يظهر أنها ركبت السفن من الجزء الجنوبي الغربي من ايران من (شريكم) (Shirikum) ، فعبرت الخليج (البحر الأسفل) الى الساحل المقابل ، أي الساحل الشرقي لجزيرة العرب . ولما وصلت سفنه الساحل ، تجمع ملوك (المدن) ، وبلغ عددهم (٣٢) ملكاً ، وقرروا محاربة جنوده ، غير أن جنوده انتصروا – كما يقول ملك أكد – على جنود ملوك المدن ، وانسحر أهل الساحل ، واضطروا الى الاستسلام والخضوع ، وسلمت تلك المدن له . وبذلك فرض سلطان (أكد) عليها الى موضع (مناجم الفضة) . وقد استولى على الجبال جنوب (البحر الأسفل) ، وأخذ ما وجد

---

١ Ancient Iraq, P. 94.
٢ Ancient Iraq, P. 122.
٣ Ancient Iraq, P. 129.
٤ W. F. Leemans, Trade in the Old Babylonian Period, P. 4, Leiden, 1960.
٥ Reallexikon der Assyriologie, I, Funfte Liefrung, S. 374.

فيها من أحجار ، فصنع منها تماثيل قدمها نذراً للإلـه (انليل) (Enlil)[1] .

وأغلب الظن أن مراد الملك من الجبال أسفل (البحر الأسفل) هي أرض عمان ، وهي أرض متصلة من البحر بالبحرين وبالعراق من البر والبحر ، كما أن تحرك السفن من جنـوب غربي ايران ، أي من الأرض العربيـة المسماة بـ (عربستان) في الزمن الحاضر الى الساحل المقابل ، أي ساحل جزيرة العرب الشرقي ، يحمل الذهن الى أن الجبال التي ذكرها الملك هي جبال عمـان ، وإذا صح هذا الرأي، يكون هذا الملك الأكدي قد وصل في فتوحاته الى أرض عمان .

وجاء في كتابة مدوّنة على تمثال الملك (نرام سن) (نارام سن) (نارام سين)[2] (٢٢٩١ – ٢٢٥٥ ق. م)[3] . أنه أخضع موضع (مكـان) مجـان (مفان) (Magan) ، وتغلب عـلى ملكه (مانو) (مانيوم) (Manium) (مانودانو) (Mannu-Dannu) ، وأسره[4] .

ويظهر أن أهـل (مجان) (مكان) ، وهم قـوم لم يشر الى اسمهم (منشتوسو) والد (نارام سن) (Naram-Sin) ، وهم أهل عمـان في رأي أكثر العلماء – كما سأتحـدث عن ذلك بعد قليل – كانوا قد ثاروا على العراقيين الأكديين الذين أخضعهم لحكمه والد (نارام سن) ، وذلك في أيامه أو في أواخر أيام والده ، فأرسل لذلك (نارام سن) حملة تأديبية قضت على ثورتهم وأعادتهم الى حكم الأكديين، وعاد بذلك ساحل الخليج العربي من عمان الى أعلاه ، فصار جزءاً من مملكة أكد .

وقد ورد اسم (مكان) (مجان) في نصوص سومرية وأكاديـة ، نشر

---

١ G.A. Barton, The Royal Inscriptions of Sumer and Akkad, New Haven, 1924, P. ff. Ancient Iraq, P. 131.

٢ نحو « ٢٣٠٠ ق . م » حتى (ص ٤٣) الترجمة العربية ، و (٢٤٠٠ ق . م) في الطبعة الثالثة باللغة الانكليزية (ص ٣٦) ، – (٢٧٣٠ ق . م) في :
Rostovtzelf, A History of the Ancient World, Vol. I, Oxford 1930, P. 397, ancient Iraq, P. 132.

٣ L.W. King, Studies in Eastern History, II, "Chronicles concerning Early Babylonian Kings," Vol. I, P. 8, 51, 52, Vol. II, P. 10, 38, 39.

٤ King, I, P. 51, The Cambridge Ancient History, Vol. I, P. 415, Cambridge, 1923, Bruno Meissner, Koenige Babyloniens und Assyriens, S. 31, King, Vol. II, P. 10, 38 39.

بعضها العلماء ، منها نص للملك (شلجي) أو (دلجي) أو (ونجي) الملقب بـ (ملك سومر وأكاد) أفاد وجود صناعة بناء السفن في هذا المكان[1]. والواقع ان أهل الساحل الشرقي لجزيرة العرب عرفوا ببناء السفن منذ القديم ، وقد ركبوا البحار ، وتاجروا ، وتوسطوا في نقل التجارة من مختلف السواحل ، ولا تزال صناعة بناء السفن الشراعية معروفة حتى اليوم مع قلة ربحها ، وعدم تمكنها من منافسة البواخر ، الا انها على كل حال مورد رزق لأصحابها لاقتناعهم بالقوت القليل .

ويدل عثور المنقبين على أختام ومواد أخرى من عمل الهند ، في(اور) وفي (كيش) و (البحرين) ومواضع أخرى من الساحل العربي الشرقي على أن الاتصال التجاري بالبحر كان معروفاً في الألف الثالثة قبل الميلاد ، وأن حركة الاتصال هذه كانت مستمرة عامرة ، وان بعض مواضع الخليج مثل (البحرين) كانت من مراسي السفن الشهيرة في تلك الأيام ، تقصدها السفن القادمة من العراق في طريقها الى الهند ، والسفن القادمة من الهند في طريقها الى العراق[2] .

وقد دعيت (مكان) (مجان) في نصوص أخرى (Matu-Ma-Gan-Na) أي (أرض مجان)[3] . ويظهر ان الملك (مانيوم) (مانئوم) (مانوم) هو الملك (منودنو) (Mannu-Dannu) نفسه الذي ورد في نص آخر[4] . وقد كتبت على التمثال لفظة (بلو) (Belu) بمعنى (سيد) ، أي سيد (مجان) ، وهو (مانيوم) . وقد جيء بحجر التمثال من (مجان) . وتعني كلمة (دنو) (المقتدر) ، ولذلك يرى بعض الباحثين انها صفة ألحقت بالاسم ، فهي لقبه، وليست جزءاً من الاسم[5] .

---

١ S.H. Langdon, The Cambridge Ancient History, Vol. I, P. 415, 437, F. Thureau-Dangin, Die Sumerischen und Akkadischen Koenigsinschrifttten, Bd. I, S. 66, 72, 76, 78, 104, 106, 134, 164, 166, H.R. Hall, The Ancient History of the Near East London, 1947, P. 190, Ancient Iraq, P. 142

٢ C. J. Gadd, Seals of Ancient Indian Style found at Ur, PBA, XVIII, P. 191-210, Sir M. Wheeler, The Indus Civilization, P. 85, Leemans, P. 5.

٣ King, II, P. 38, 39.

٤ King, I, P. 8, 51, 52, De Morgan, Délégation en Pers, Mémoires VI, P. 2 1905.

٥ King, I, P. 52, Cambridge Ancient History, I, P. 415.

وفي أنباء (جوديا) (غوديا) (Godea) ، وهو (باتيسي) مدينة (لكش)[1] ، انه جلب الحجر من (مجان) ، وذلك لصنع التماثيل ، كما جلب الخشب منه ومن (دلون)[2] . وذكر مع موضع (مجان) اسم موضع آخر هو (ملوخا) . وقد ذكر (جوديا) (غوديا) انه جلب كميات كبيرة من (حجر أحمر) من (ملوخا)[3] . وقد أخذ العلماء في تقصّي هذين المكانين اللذين أخذ منهما هذا الـ (باتيسي) أحجاره وأخشابه ، وكذلك أسماء مواضع أخرى ذكرت مع المكانين[4] .

وقد بحث (ونكلر) عن موضع (مجان) ، ويقع على رأيه في الأقسام الشرقية من جزيرة العرب[5] . وقد نبه على اقتران اسم (ملوخا) باسم (مجان) في الغالب ، ويرى انهما اصطلاحان يقصد بهما في البابلية القديمة بلاد العرب ، فيراد من (مجان) القسم الشرقي من الجزيرة من أرض (بابل) الى الجنوب . وأما (ملوخا) ، فيراد بها القسم الشرقي من جزيرة العرب . ويرى أيضاً ان ما وقع في جنوب المنطقتين عرف باسم (كوش) أي الحبشة ، وان البابليين لم يكونوا يتصورون بلاد العرب شبه جزيرة تحيط بها البحار من الشرق والجنوب والغرب ، بل تصوروها منطقة واسعة تمتد من الحبشة الى الهند ، وان (كوش) تقابل مصر التي هي القسم الشمالي من جزيرة العرب . فما ذكر عن (كوش) ومصر في التوراة ، لا يقصد به الحبشة ومصر ، بل يقصد به جزيرة العرب وشمالها . وقد جاء على ذلك بأمثلة من العهد العتيق ، ذكر أن من الصعب ان يكون المراد بها مصر والحبشة .

وقد ألف (ونكلر) رسالة سمّاها (مصري وملوخا ومعين) بيّنَ فيها رأيه في أن (مصري) هي أرض عربية شمالية ، وأن مصر المذكورة في التوراة

---

١ « باتيسي » ، في السومرية في مقابل كلمة « اشاكو » (Ischakku) و«لكرب» اي الحاكم الكاهن ، الذي يجمع بين السلطتين الزمنية والدينية

٢ Schrader, Die Keilschriften und das Alte Testament, S. 15. ff.
وسيكون رمزه : KLT

٣ Ancient Iraq, P. 141.

٤ « مجان وملوخا ، جمعتا الخشب من جبالهما .... وجوديا جلب الخشب منهما الى مدينة جرسو » ، Ancient Iraq, P. 141.

٥ KLT, S. 15.

هي في بلاد العرب ، لا في إفريقية . وقد أثارت نظرية (ونكلر) هذه جدلاً بين العلماء وقوبلت بنقد شديد ، لأنها تعارض ظاهرة نصوص التوراة [١] :

وذهب آخرون الى أن (مجان) هي في المنطقة المسماة (Gerrha) عند (الكلاسيكيين) ، وهي الأحساء ، وأما (ملوخا) فتمتد من المنطقة الواقعة الى الجنوب من البحرين الى عمان [٢] . وقد اشتهرت (ملوخا) بوجود الذهب فيها [٣] . ومنها حصل (جوديا) (Gudea) (غوديا) على الذهب [٤] ، كما اشتهرت بالخشب الثمين المسمى (Uschu) [٥] . وأما (هومل) ، فيرى أن (مجان) في الأقسام الشرقية من جزيرة العرب ، وأن (ملوخا) تقع في وسط جزيرة العرب ، أو في القسم الشمالي الغربي منها .

وذهب (جيسمن) الى احتمال وقوع (مجان) على مقربة من ساحل الخليج ، في موضع في الرمال جنوب (يبرين) ، فيه بئر جاهلية ، قال إن اسمها قريب من (مجان) (Magan) ، ويعرف هذا المكان باسم (مجيمنة) [٦] .

وقد عارض (فلبي) رأي (جيسمن) هذا ، لأن الموضع المذكور يقع في منطقة صحراوية بعيدة عن ساحل البحر ، ولا توجد فيه آثار عاديات تشعر أنه كان من المواضع الجاهلية العتيقة ، ولا صخور من نوع (الديوريت) الذي صنع منه تمثال (نرام — سين) ، ولا أي نوع آخر من الصخور ، يبعث على الظن أنه المكان الذي نقلت منه الحجارة الى العراق . وقد رأى (فلبي) أن موضع (مجن) ، الواقع على مقربة من الساحل عند مصب وادي (شهبة) ، هو أقرب الى (مجان) من الموضع الذي اختاره (جيسمن) ، ولهذا ظن أنه هو المكان المقصود [٧] .

ويرى (موسل) أن من الصعب جداً الاتفاق على تعيين موضعي (مجان)

---

١ Hugo Winckler, Musri, Meluhha, Main, Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft, 1898, I, Berlin, "hefte.

٢ O'leary, P. 47.

٣ O'leary, P. 49.

٤ Thureau-Dangin, Die Sumerischen und Akkadien Koniginschriften, Leipzig, 1907, S. 70.

٥ Fr. Hommel, Grundriss, I, S. 13, Arnorld T. Wilson, The Persian Gulf, Oxford, 1928, P. 28.

٦ Philby, The Empty Quarter, P. 119. ff.

٧ Major Cheesman, In Unknown Arabia, P. 266.

و (ملوخا) ، لأن مدلولي الاسمين قد تغيرا تغيّراً مراراً . فالذي يفهم من نصوص الألف الثالثة قبل الميلاد ، أنهما يقعان في جزيرة العرب على سواحل الخليج وعلى سواحل المحيط الهندي . فـ (مجان) في نص (نرام – سين) أرض تحد إقليم (بابل) ، أو هي لا تبعد عنه كثيراً[1] . وهي كذلك في كتابة (جودية) (جوديا) (غوديا) . وفي بعض النصوص التي عثر عليها في (اور) حيث أشير الى طريق قوافل يوصل من (السوس) الى (مجان)[2] : وهذا مما يبعث على الظن أن أرض (مجان) و (ملوخا) المذكورتين في نصوص الألف الثالثة قبل الميلاد تقع على الخليج ، في الأرضين التي سكن فيها الـ (جرهائيون) (Gerrhaens)[3] . وقد كان سكان هذه السواحل يتاجرون منذ القديم مع الهند وايران والسواحل العربية الجنوبية ، ومع إفريقية أيضاً : ويرى احتمال شمول اسم (ملوخا) منطقة واسعة تشمل ما يسمى (كوش) في التوراة ، والسواحل العربية الجنوبية التي كانت تعرف بـ (كوش) كذلك[4] .

ويرى (موسل) أن مدلول (مجان) قد توسع في الألف الأول قبل الميلاد فشمل منطقة كبيرة شملت مصر أيضاً ، فعنى في النصوص الآشورية التي ترجع الى الألف الأول قبل الميلاد بـ (مجان) طور سيناء والأقسام المتاخمة لها من مصر ، والى هذا الرأي ذهب (مايسنر) كذلك[5] . أما (ملوخا) ، فقد قصد بها الحبشة والسودان . وقد توسع مدلول (حويلة) المذكور في التوراة أيضاً ، فشمل المنطقة التي تقع غرب (بابل) الى طور سيناء والسواحل الشرقية الواقعة على خليج العقبة . ولهذا ظن بعض العلماء أنها صارت تعني (ملوخا)[6] .

وقد ذهب (كيتاني) الى أن (مجان) هي (مدين) ، لأن أرض (مدين) كانت في حوالي خمسة آلاف سنة قبل الميلاد كثيفة الأشجار ، وكانت تصدر الأخشاب التي تصلح لبناء السفن . ومن مدين أخذ البابليون الذهب والنحاس

---

١ Musil, Negd, P. 306. ff. British Museum Tablet, 26, 472, K. 2130.
٢ Musil, Negd, P. 307.
٣ Musil, Negd, P. 307.
٤ Musil, Negd, P. 307.
٥ Konige, S. 31, Musil, Negd, P. 307.
٦ Musil, Negd, P. 307.

والأخشاب . أما (موسل) ، فيعارض هـذا الرأي ، ويرى أن من الصعب تصور نقل الأكديين والسومرين والبابليين الأخشاب والصخور الثقيلة من مدين على ظهور الجمال الى بلادهم مع اتساع الشقة وبعد الطريق ، ويرى أن من الصعب تصور نقلها في البحر الأحمر فالبحر العربي فالخليج ، فإن ذلك يستدعي زمناً طويلاً ومتاعب كثيرة ، ثم إن النصوص لم تشر الى ذلك . فمن المعقول أن تكون (مجان) في العربية الشرقية على ساحل الخليج[1] .

ويرى (كلاسر) أن (Magon Kolpos) الذي ذكره (بطلميوس) لا يعني (خليج المجوس) (Magorum Sinus) حتماً ، إذ يجوز أن يكون المراد منه (مجان) (Magan) ، أي موضع (مجان) الذي نتحدث عنه[2] . ويقع – في رأيه – على ساحل الخليج ، وربما كان عند (القطن) (قطن) . ويحتمل – في رأيه أيضاً – أن يكون (Maka) المذكور في نص (دارا)[3] .

ويرى (أوليري) أن (مجان) هي (Gerrha) ، وتمثلها الأحساء في الزمن الحاضر . أما (ملوخا) (Meluhha) ، فتقع – في رأيه – جنوب الأحساء ، في عمان . وقد استدل على ذلك بنص دوّن في عهد (سرجون) (٧٢٢ – ٧٠٥ ق. م.) ، جاء فيه أن مملكته بلغت مسيرة ١٢٠ (بيرو) من سقي نهر الفرات الى (ملوخا) على ساحل البحر[4] ، وأن موضع (دلمون) (Dilmun) يقع على مسافة ٣٠ (بيرو) من رأس الخليج[5] . فيجب أن يكون موضع (ملوخا) اذن بعد موضع (دلمون) . ولما كان موضع (دلمون) هو (تيلوس) (Tylus) في رأي أكثر العلماء ، أي البحرين ، فإذن تكون أرض (مجان) وأرض (ملوخا) في العرض ، وفي المواضع المذكورة[6] . وذهب

---

١ المصدر نفسه .

٢ Glaser, Skizze, II, S. 223. f. Forster, I, P. 298, 306, II, 215.

٣ Skizze, II, S. 225.

٤ Schroder, Keilinschr. Verschiedenen Inhalts, No. 92, O'leary P. 46.

٥ « بيرو » ، وفي القراءات القديمة « قصبو » (قصبة ، Kaspu) عوضاً عن (بيرو) وهي مقياس للمسيرات ، سومر ، الجزء الثاني ، ١٩٤٩ ، من المجلد الخامس (ص ١٣٤) .

٦ O'leary, P. 46. ff.

بعض آخرون الى احتمال أن يكون (مجسان) (مكان) في العربية الشرقية في موضع عمان[1] .

وقد ذكر الملك (شروكين) (Sharrukin) ملك آشور أن في جملة الأرضين التي خضعت لحكمه أرض (تلمون) (Tilmun) و (مجانا) (مجان) (مجنا) (Maganna) ، وتقع في البحر الجنوبي ، ويريد به الخليج . ويشير الى انه فتح هذه الأرضين بيده ، وذلك قبل الميلاد بمئات السنين (١٩٨٠ ؟ — ١٩٤٨ ؟ ق. م.)[2] . وقد رأى (ينسن) (P. Jensen) أن المراد بـ (تلمون) جزيرة (قشم) ، على الرغم من ذهاب كثر الباحثين الى انها البحرين . وأما (مجان) فإنها في نظره أرض (عمان)[3] .

وجاء اسم (ملوخا) (ملوخه) (Melluhha) واسم (تلمون) (Tilmun) في جملة أسماء الأرضين التي كان يحكمها ملك آشور (توكولتي نينورتا) (Tukulti-Ninurta) ، وقد نعت نفسه بـ (ملك كردونيش) (Karduniash) وملك سومر وأكاد ، وملك سيبار (Sippar) وبابل ، وملك تلمون وملوخا ، وملك (البحار العالية) و (البحار التحتية) ، وقصد بجملة (البحار العالية) (بحيرة وان) على ما يظهر ، وتقع أعلى آشور ، وبجملة (البحار التحتية) البحر الذي يقع أسفل مملكة آشور ، أي في جنوبها ، ويظهر انه أراد به الخليج العربي . ومعنى ذلك انه حكم منطقة واسعة امتدت رقعتها من (بحيرة وان) حتى الخليج ، وفي ضمنها (البحرين) والسواحل الواقعة الى غربها ، وهي سواحل (ملوخا) (ملوحا)[4] .

دلمون :

ويجرنا الحديث عن (مجان) و (ملوخا) الى الحديث عن موضع آخر ورد في النصوص (الأكدية) و (السومرية) و (الآشورية) ، هو موضع

---

١ Leemans, P. 12.

٢ Reall. I, Dritte Lieferung, S. 237, 240.

٣ المصدر نفسه .

٤ Reall. I, Funfte Lieferung, S. 374, Berlin, 1931.

(ني – تك) (Ni-Tuk) (Ni-Tuk-Ki) وهو (دلون) (Dilmun) أو (تلمون) (Tilmun)[1] . وقد اشتهر بتمره وخشبه ومعادنه مثل النحاس والبرنز ، وكانت فيه مملكة يرأسها ملوك[2] . وقد رأينا ان (جوديا) (Gudea) كان قد أشار اليه والى موضع (مجان) ، وقد ذكر انه استورد الخشب منه ، كما رأينا اسم هذا المكان في ضمن الأماكن المذكورة في نص (سرجون) ، وقد ورد أيضاً في نص للملك (آشور بانبال)[3] . وفي نص للملك (سنحاريب) (سنحريب) ، وقد ذكر هذا الملك انه بعد أن تمكن من (بابل) ودكها دكاً ، عزم على ضم (دلون) الى مملكته ، فأرسل وفداً الى ملكها يخبره أمراً من أمرين : إما الخضوع لـ (آشور) وإما الخراب والدمار . فوافق ملك الجزيرة على الاعتراف بسيادة (سنحاريب) عليه ، وأرسل اليه بجزية ثمينة[4] . وكذلك كانت هذه الجزيرة في عداد الأرضين التي خضعت لـ (آشور بانبال)[5] .

ويظهر من النصوص أن (دلون) كانت جزيرة تتمتع بقدسية خاصة ، فكانت تعدّ من الأماكن المقدسة ، وقد رويت عنها أساطير دينية ، وعبدت فيها آلهة تعبد لها أهل العراق ، مما يدل على الاتصال الثقافي المتين الذي كان بين العراق والبحرين . ووجد اسم الإلـه (انزاك) في كتابة عثر عليها في البحرين[6] ، وتشير أسطورة (أنكي) وزوجه (ننخرساك) وملحمة (كلكمش) (جلجامش) (جلجمش) ، وأسطورة (أرض الحياة)[7] وغير ذلك من القصص الشعبي ، الى هذا الاتصال الطبيعي الذي كان بين جنوب العراق والعروض .

وذكر (هومل) أن من كبار آلهة (دلون) : (لحامو) (لحامون) ، وهو إلهة أنثى[8] . وأشار أيضاً الى نص أرخ في السنة السابعة من سني (فيلبس)

---

١ O'leary, P. 46.

٢ Burrows, Tilmun, Bahrain, Paradise, in Orientalia, Heft, 2, Scriptura Sacra et Monumenta Orientis Antiqui, Roma, 1928, P. 5, 30.

٣ Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Babylonia, II, 41, 76, 92, 185.

٤ Luckenbill, Ancient, II Sect. 438.

٥ مجلة سومر ، الجزء الثاني من المجلد الخامس ، ١٩٤٩ ، (ص ١٣٧) .

٦ Burrows, P. 30.

٧ S.N. Kramer, in BOASOOR, Num. 96, (1944), P. 18.

٨ Hommel, Grundriss, I S. 130.

(Philippus) (فيلفوس)[1] وتقابل سنة (٣١٧ ق. م.) ، وهو نص (بابلي) ورد فيه اسم أرض دعيت (برديسو) (Pardesu) ، وتقابل هذه الكلمة كلمة (Pildash) [2] (Pardes) بالعبرانية[3] و (فردوس) بالعربيـــة ، وتقع في

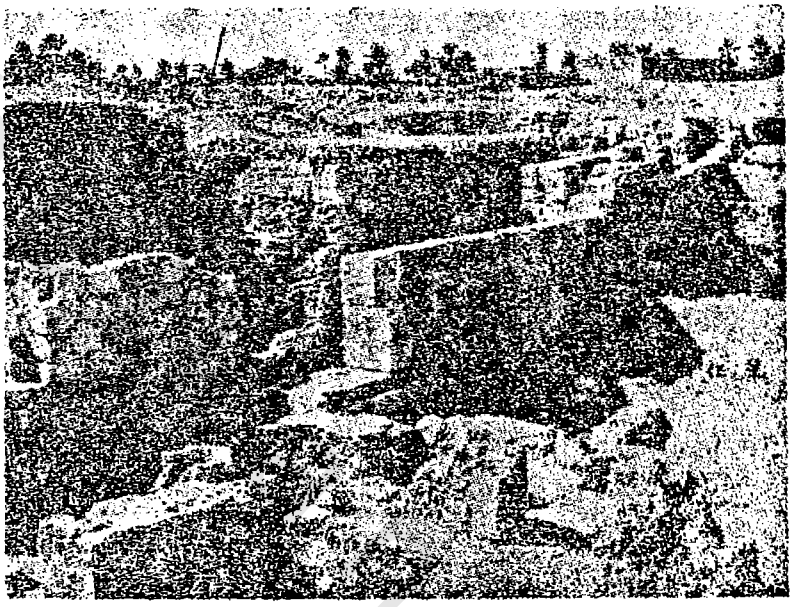

معبد من حضارة ديلمون (٣٠٠٠ ق. م)
من نشرة دائرة الإعلام : حكومة البحرين

القسم الشرقي من جزيرة العرب، بين (مجان) و (بيت نبسانو) (Bit Napsanu) التي هي جزيرة (دلمون)[4] . وقد حملت هذه التسمية بعض العلماء على التفكير في أن ما ورد عن (جنة عدن) في التوراة ، إنما أريد به هذه المنطقة التي تقع في القسم الشرقي من جزيرة العرب وعلى سواحل الخليج[5] .

---

١ « فيلفوس » ، الطبري (١/٦٩٤ ، ٧٣٨) ، « طبعة ليدن » ،
٢ Hommel, Grundriss, I, S. 166.
٣ Enc. Bibl. P. 3569.
٤ Hommel, Grundriss, I, S. 250.
٥ المعرفة النظريات ألتي ذكرها علماء التوراة عن « جنة عدن » يستحسن مراجعة:
Enc. Bibl. P. 3574.

وقد ذهب أكثر العلماء الى أن أرض (دلمون) هي جزيرة البحرين ، أو جزيرة البحرين والساحل المقابل لهـا ، وذلك لأن المسافة التي ذكرت في نص (سرجون) تكاد تساوي بعد البحرين عن فم نهر الفرات ، وهـذا مما حملهم على القول إن موضع (دلمون) هو جزيرة البحرين . ثم إن الصلات بين العراق والعروض كانت قوية ، والأرض هي على امتداد واحد ، فلا موانع ولا حواجز ، ولهذا رجحوا كون (دلمون) هي البحرين[1] .

وعرفت (دلمون) أو البحرين في الكتب (الكلاسيكية) باسم (تيلوس) (Tylus) ، ويرى بعض الباحثين أنه حرف عن (تلوون) (Tilwun) ، وهو (Dilmun) في الأصل ، وورد معه اسم (أرادوس) (Aradus)[2] . وقد ذكر (بلينيوس) (Pliny) أن جزيرة (Tylos) (Tylus) معروفة باللؤلؤ ، وبها مدينة عرفت بهذا الاسم كذلك . وعلى مقربة منها جزيرة صغيرة . وهي تقابل الساحل الذي يسكنه الـ (الجرهائيون) (Gerrhaens) ، نسبة الى مدينتهم (جرها) (Gerrha)[3] . وينطبق وصف (بلينيوس) لجزيرة (Tylos) (Tylus) على جزيرة البحرين كل الانطباق :

وقد ورد في بعض نصوص (أور) (Ur) أنها صدرت الصوف في السفن الى (تلمون) (Tilmun)[4] ، كما أشير الى قوافل كانت تذهب من (أور) الى هذا الموضع ، وقد عادت بأرباح كبيرة[5] . ويظهر من هذه النصوص ومن نصوص أخرى أن الاتجار بين (تلمون) و (أور) كان متصلاً مستمراً ، وأن جماعة من تجار (أور) كانوا يرسلون قوافل من السفن الى (تلمون) للاتجار ، تحمل الى هذا الموضع ما بها حاجة اليه من حاصلات العراق ومن الأموال الواردة الى العراق من الأسواق الخارجية مثل ايران وبلاد الشام وآسية الصغرى وربما من اليونان وأسواق أوروبة ، فتبيعها هناك ، وربما يشتريها تجار (تلمون) أو غيرهم

---

١ P.B. Cornwall, in BOASOOR, 1946, P. 3. ff. The Geographical Journal, CVII, Nos, I, and 2, Febr. 1946, 28-50, The National Geographical Magazine, April, 1948.

٢ Enc. I, P. 584.

٣ Glaser, Skizze, II, S. 74.

٤ UET III, 1507, Leemans, P. 22.

٥ UETV 526, UETV 678, Leemans, 25, 26, 27, 28, 29.

لتصديرها الى أماكن أخرى بعيدة مثل الهند،أو إفريقية ، أو قلب جزيرة العرب. فإذا انتهى هؤلاء التجار من بيع تجارتهم ، يعودون ببضائع من البحرين ، هي في الغالب من تجارة الهند أو إفريقية ، في جملتهـــا المعادن والأخشاب والعطور والأشياء النفيسة الأخرى التي كانت تباع بأثمان باهظة ، فيربح هؤلاء التجار من هذه التجارة ربحاً كبيراً .

وقد كان تجار (تلمون) يأتون بسفنهم الى (أور) يحملون ما استوردوه من تجارات من الهند أو افريقية أو جزيرة العرب ، لبيعه في أسواق (أور) ثم يعودون بسلع أسواق أور ، من حاصل العراق وما جلب الى أور من الخارج : وقد كان هؤلاء التجار يدفعون العشر ، ضريبة عن هذا الاتجار[1] .

وقد عثر على نصوص تبين من دراستها انها عقود واتفاقيات عقدت بين تجار للاتجار بين (أور) و (تلمون) ، وبينها وثائق تتعلق بتجارة تجـــار قاموا بأنفسهم بالاتجار مع (تلمون) . ويظهر من دراستهـا ان اولئك التجار كانوا يستوردون النحاس بمقياس واسع من (تلمون) ، لأنـه مطلوب في العراق ، ولأن أسعاره هناك أرخص بكثير من سعره في أور ، وكان في جملة السلع التي استوردوها من (تلمون) الفضة و (عين السمك) ، أي اللؤلؤ على ما يظن[2] .

ولا بد أن يكون هذا النحاس من جملة المواد المستوردة من مواضع أخرى الى (تلمون) . وقد تكون أرض عمان في جملـــة الأماكن التي أمدّت هذا الموضع به . فقد عثر في عمان على آثار منجم عند مكان يسمى (جبل معدن) يقع على مسافة (٧٥) ميلاً الى الشمال الغربي من الجبل الأخضر[3] . فلعـل هذا المنجم القديم كان مستغلاً في تلك الأيام يستخرج النحاس منه .

ولقد عثر في البحرين على مقابر قديمة كثيرة كما ذكرت قبل . وقد وجد بعد فتحها انها خططت على نمط واحد ، وتتجه مداخلهـا نحو الغرب ، وذلك مما يبعث على الظن ان لهذا الاتجاه علاقة بشعائر دينية عند القوم أصحاب المقابر. وقد وجدت فيها كما سبق أن قلت عظام بشرية ، منهـــا جمجمتان بشريتان ،

---

١ Leemans, P. 31.

٢ Leemans, P. 48, 50.

٣ Leemans, P. 122.

وعظام حيوانات يظهر انها دفنت وهي حية مع أصحابها وفق العقائد الدينية التي كانوا يدينون بها . وعثر على مصوغات من الذهب وعلى خرز وأحجار زينة . غير ان هذه الأشياء لم تعط الباحثين حتى الآن فكرة يقينية عن تأريخها وعن أيام أصحابها ، والرأي الشائع بين الذين عنوا بدراستها وفحصها انها مقابر (فينيقية) ، لأن البحرين كانت الموطن القديم للفينيقيين[1] ،وان لم يصدر حتى الآن رأي جازم في هذا الشأن .

وقد عثر كما ذكر (ولسن) (Wilson) في مقبرة من هذه المقابر على حجر أسود مكتوب بكتابة تشابه الكتابات المسمارية[2] .

ويستشهد العلماء الذين يذهبون الى أن تلك المقابر هي مقابر (فينيقية) ، وان سكان البحرين هم فينيقيون ، بما ذكره (سترابون) من أن في جزيرتي (Tylus) (Tyrus) و (Aradus) ، مقابر تشابه مقابر الفينيقيين ، وان سكان الجزيرة يرون ان أسماء جزائرهم ومدنهم هي أسماء فينيقية[3] .

وقد قامت بعثة آثارية دانماركية بالبحث عن الآثار في البحرين ، وقد نبشت الأرض في ثلاث مواضع لاستنطاقها والاستفسار منها عن ماضيها القديم . وقد تأكدت البعثة من أن الأماكن التي نقبت فيها تعود الى مستوطنات العصر البرنزي. وكان في جملة ما عثرت عليه تمثالين صغيرين لثورين،وفخاراً، وأشياء أخرى .

وقد عثر المنقبون على آثار معابد في مواضع من جزر البحرين ، تبين من فحصها انها خربت مراراً ، وان الأيدي لعبت بها ، وقد انتزعت أحجارها للاستفادة منها في تحويلها الى أبنية جديدة . وفي جملة ما عثر عليه في أنقاضها بعض التماثيل وبعض الأحجار المثقوبة ، وكانت مذابح تذبح عليها القرابين ، فتسيل دماؤها من هذه الثقوب الى حفرة تتجمع فيها الدماء . وقد تبين أن هذه المعابد ، هي من معابد العصر النحاسي والعصر البرنزي ، وأن تأريخ بعضها يعود الى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد[4] .

---

١ Enc. Vol. I, P. 585,Cornwall, in Geogr. Journal., CVII, P. 36, 142, 1946, Wilson, The Pers. Gulf. P. 29, Bent, The Bahrain Islands, In Roy. Geogr. Soci. 12, London, 1890.

٢ Wilson, P. 31.

٣ Enc. I, P. 585, Wilson. P. 29, 30, Strabo, XVI, III, 3, 4, Stuhlmann Der Kampf S. 195

٤ Belgrave, P. 53.

ويرى كثير من الباحثين في التأريخ القديم ان أصل الفينيقيين الساكنين في (فينيقية) بلبنان هو من هذه المنطقة ، أي من البحرين والساحل المقابل له . وقد ذكر (هيرودوتس) ان المشهور في أيامه ان أصلهم من البحر الأحمر[1] . ولكن العلماء يرون انه قصد الخليج العربي (Sinus Persicus) لا البحر الأحمر .

سلالم تؤدي الى معبد من معابد « باربار » في البحرين
من تصوير شركة نفط البحرين

ويذكرون أن الفينيقيين تركوا ديارهم هذه ، وهاجروا منها سالكين الساحل ، ثم وادي الفرات ، ومن وادي الفرات تمّموا لبنان ، حيث استقروا على الساحل في المنطقة التي عرفت باسمهم ، أي (فينيقية) (Phoenicia)[2] .

اننا لا نستطيع أن نتحدث الآن عن حكومة العروض أو حكومات العروض

---

١ Herodotus, I, VII, 89, Hastings, P. 725.

٢ Hastings, P. 725.

في عصور ما قبل الميلاد : فما لدينا من أخبار هو نزر يسير . نعم ، من الجائز أن يكون أهل هذا الساحل قد كوّنوا لهم حكومة واحدة، ومن الجائز أن يكونوا قد أقاموا حكومات عديدة ، حكومات مدن ، أو حكومات قبائل ، على نحو ما نعرفه عن هذه المنطقة الى عهد ليس ببعيد : وكما نرى في مشيخات وإمارات الخليج في هذا الزمان . ومن الجائز أن يكون أهل العراق قد أخضعوا ذلك الساحل وأقاموا حكومات فيه . ونحن لا نستطيع التحدث الآن عن (أرض البحر) (Mat-Tamtim) ، هل كانت حكومة قوية عاشت في الألف الثالث قبل الميلاد ، حكمت كل الساحل الى أن غزتها حكومات من العراق أو كانت إمارة أو (مشيخة) في اصطلاح هذا اليوم ؟ ولكن ما نراه من سرعة تغلب الأكاديين والسومريين والآشوريين على أهل الساحل ، يشير الى انهم لم يكونوا أصحاب حكومة قوية وانهم انما كانوا في أغلب الظن رجال بحر وتجارة ، لهم حكومات صغيرة أي إمارات و (مشيخات) ، وهذا يفسر لنا سر استسلامها لحكومات العراق بسهولة ويسر وأدائها الجزية لها .

وهناك من يزعم أن (السومريين) إنما جاءوا الى العراق من البحرين ، جاءوا اليه في حوالي السنة (٣١٠٠ ق. م) . وقد عرفت البحرين باسم (دلمون) (تلمون) (Dilmun) في نصوص السومريين وقد كانت البحرين محطة مهمة ينزل فيها الناس في هجراتهم نحو الشمال ، كما كانت محطة للاتجار مع الهند والبلاد البحرية الأخرى[1] . والرأي الغالب اليوم بين علماء التأريخ القديم أن الكلدانيين الذين سكنوا الأقسام الجنوبية من العراق ، إنما جاءوا الى هذه الأرضين من العربية الشرقية ، من ساحل الخليج ، وذلك في أواخر الألف الثانية قبل الميلاد ، ثم زحفوا نحو الشمال حتى وصلوا الى بابل ، وقد وجد بعض الباحثين كتابات كلدانية تشبه حروفها الحروف العربية الجنوبية القديمة ، أي حروف المسند ، واستدلوا من ذلك على أن أولئك المهاجرين الذين ربما كان أصلهم من عمان هاجروا الى ساحل الخليج ، ثم انتقلوا منه الى العراق ، ونقلوا معهم خطها القديم ، الذي تركوه بعد ذلك حينما استقروا في العراق ، لتأثرهم بالمؤثرات الثقافية العراقية . والنماذج القديمة من كتاباتهم التي عثر عليها الباحثون ،

---

١ Grohmann, Arabien, S. 255.

وإن لم تتحدث عن أصل أصحابها ، إلا أن خطهـا المذكور يشير الى أنـه من العربية الشرقية [1] .

وقد ذهب (سترابو) الى أن (Gerrha) التي تقع عند (العقير) كانت في الأصل موضعاً للكلدانيين (Chaldaer) ، وكانت ذات تجارة مع أهـل بابل مزدهرة [2] .

على كل فالذي يتبين لنا من الأخبار السومرية والأكدية والآشورية وغيرهـا أن أهل العربية الشرقية كانوا قد كوّنوا لهم حكومات مدن وذلك قبـل الألف الثالثة قبل الميلاد ، صرفت جل عنايتهـا نحو التجارة وركوب البحار للاتجار ، والاستفادة من البحر لاستخراج ما فيه من سمك و (لؤلؤ) ، واستغلال ما في أرضها من ماء للزراعة عليه . والطبيعة هي التي فرضت على أهل هذا الساحل هذا الشكل من الحكم ، لأنها لم تمنحهم أمطاراً وافرة تمكنهم من استغلال أرضهم ، ولم تعطهم أنهاراً كبيرة طويلة تساعد في نشوء العمران عليها وتكوين حكومات مطلقة ، كما في العراق أو في وادي النيل ، لذلك انحصرت السكنى في مواضع متناثرة من الساحل ، فصعب على السكان تكوين حكومة مطلقة واحـدة يكون الحكم فيها حكماً مركزاً في أيدي الملوك ، لتباعد المدن بعضها عن بعض ، لذلك صار الحكم فيها حكم مدن ، على المدينة (ملك) أو رئيس يدير شؤون الجماعة ، إلاّ أن هذا الوضع جعلهم عرضـة للغزو اذ طمعت فيهم الحكومات الكبيرة ، كالذي رأيناه من غزو السومريين والأكديين لهم ، وكالذي سنراه فيما بعـد من غزو الآشوريين واليونانيين وغيرهم لهذه الأرضين .

لقد استورد السومريون والأكديون الذهب والحجارة الصالحة لصنع التماثيل ، والأخشاب لبناء المعابد ، والأشياء النفيسة الأخرى من (دلمون) ومن (ملوخا) ومن (مكان) (مجان) ، وهي أماكن يرى كثير من العلماء انها في العربيـة الشرقية ، وقـد تكون تلك المواد من الأموال المستوردة من الهنـد . على كل حال ، فقد توسطت تلك الأماكن في استيرادها وايصالها الى العراق ، بفضل مهارة سكانها في تسخير البحر وتيسيره ، وقد ترك الفتح العراقي فيها أثراً كبيراً

---

١ W. F. Albright, in BASOOR, Num. 128, 1952, P. 39, "the Chaldaean Inscriptions in Proto-Arabic Script".

٢ Strabo, XVI, 7, 66, Grohmann, Arabien, S. 257.

يظهر في الآثار العراقية التي استخرجت من باطن الأرض وفي فن العربية الشرقية المتأثر بالفن العراقي .

وقد أثر انتقال ثقل الحكم من (أور) ومن القسم الجنوبي من العراق الى وسطه تأثيراً كبيراً في ثراء (أور) واقتصادها ، فقد كان في هذه المدينة تجار كوّنوا لهم شركات بحرية لنقل التجارة بين هذة المدينة ومدن الخليج ، وربما الى

رأس ثور عثرت عليه البعثة الدانماركية في « باربار » بالبحرين

مدن الهند أيضاً . وقد أثر ذلك فيهم بصورة خاصة حين وضع (حمورابي) أنظمة تحدد الاتجار البحري في ذلك العهد[1] : وقد افتخر ملك (آشور) ، الملك (تكولتي – نورتا) (Tukulti-Ninurta) (١٢٤٤ – ١٢٠٨ ق. م.) ، بأنه وسّع حدود مملكته في الجنوب ، بأن استولى على (سومر) و (أكد)، وثبت حدودها الجنوبية عند (البحر الأسفل حيث مشرق الشمس)[2] . ويعني بذلك الخليج ، غير انه لم يشر الى الأرضين التي استولى عليها في هذا الخليج .

هذا كل ما نعرفه اليوم عن تأريخ العرب في العهود القديمة . وهو كما رأينا

---

١ Ancient Iraq, P. 184, Leemans, The Old Babylonian Merchant, Leiden, 1950, P. 78-95, Foreign Trade in the Old Babylonian Period, Leiden, 1960, A. L. Oppenheim, JAOS, S. 74, 1954, P. 15, 17.

٢ Ancient Iraq, P. 217, D.D. Luckenbill, Ancient Records, I, P, 145.

نزر يسير، أخذ من بحوث أفراد ومن بحوث عرضية حُصل عليها عند البحث عن البترول ، وأملنا في زيادة علمنا بتلك العهود هو في قيام بعثات علمية بالبحث عن الآثار والعاديات لاستنطاقها عن أحوال تلك العهود . وليس أمامنا بعد هذه المقدمة الا الدخول في العصور المعروفة التي وصل الينا بعض أخبارها في الكتابات وفي الموارد الأخرى .

وقد كان لأعمال الحفر التي قامت بها بعثة (دانماركية) أرسلها متحف ما قبل التأريخ في (Aarhus) بالدانمارك فضل كبير في الكشف عن صفحات مطوية من تأريخ سواحل الخليج . فقد تمكنت هذه البعثة من العثور على آثار من عهود ما قبل العصور التأريخية في البحرين وقطر و (أبي ظبي) ، كما تعقبت آثار السكنى القديمة في البحرين وعمان وبقية الساحل ، وعثرت على معابد قديمة مثل معبد (بربر) (باربار) في البحرين و (تل قلعة البحرين) في البحرين ، وتوصلت بذلك الى نتائج قيمة جداً رجعت بتأريخ هذه البلاد الى عصور بعيدة جداً عن الميلاد ، وكان من أعمالها الكشف عن آثار (فيلكا) في الكويت .

وقد تبين من دراسة البعثة الدانماركية لآثار معبد (بربر) (باربار) في البحرين ، انه معبد عتيق : يرجع عهده الى حوالي السنة (٣٠٠٠ ق. م.) أو أقدم من ذلك[1] . وأنه كان معبداً كبيراً به (بئر) مقدسة يستقي منها المؤمنون للتبرك بمائها ولتطهير أجسامهم ولاجراء الشعائر الدينية، ويلاحظ أن الباحثين تمكنوا من العثور على آبار مقدسة في بيوت العبادة الكبرى عند الجاهليين ، وهذا يدل على أن معابدهم الكبيرة كانت ذات آبار مقدسة يشربون منهـا للتبرك والشفاء ولتطهير أجسامهم ، شأنهم في ذلك شأن أهل مكة و (زمزم) .

لقد وجدت هذه البعثة تحت أنقاض (تل القلعة) في البحرين بقايا مدينة قديمة يمكن أن تعدّ من مـدن الجزيرة الكبيرة أو عاصمتها ، يرجع تأريخها الى حوالي السنة (٢٥٠٠ ق. م.) . وكانت مسورة بسور ارتفاعه (١٦) قدماً عن سطح الأرض ، بني بالحجارة ، وقد بنيت به قلعة لحمايته من هجوم الأعداء ، وعثر على باب المدينة، وقد زينت ببناء مربع الشكل . ويقال ان الملك (سرجون) الأكادي كان قد أمر باحراقها سنة (٢٣٠٠ ق. م.) ، حتى صارت ركاماً ،

---

١ Grohmann, Arabien, S., 266.

وبقيت عـــلى ذلك طوال أيام (الكاسيين) (الألف الثانية قبل الميلاد) ، حتى أعيد بناؤهـــا في القرن السابع قبل الميلاد ، فازدهرت وتوافد عليها السكان ، وأخذت تتاجر مع العراق . وكانت مزدهرة في أيام (الأخمينيين) و(السلجوقيين)، الا أن النحس حلّ بها بعد سقوط الحكومة السلجوقية ، ولازمها ولم يتركهـــا حتى هجرها الناس[1] .

وفي جملة مـــا عثرت عليه تلك البعثة آثار مدينة يرجع عهدها الى منتصف الألف الأولى قبـــل الميلاد ، في مكان يعرف بـ (مرب) في القسم الغربي من (قطر)[2] .

---

١ P.V. Glob, Kuml, 1957, 1958, 142, 144, T.G. Bibly, Kuml, 1957, 162.

٢ Glob, Kuml, 1959, 238, Grohmann, Arabien, S. 260.